الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

جامعة البويرة

قسم علم الاجتماع

مطبوعة دروس في مقدمة لطلبة السنة الأولى-علوم اجتماعية-

جامعة أكلي محند أولحاج البويرة
المجلس العلمي

مقياس مدخل إلى علم الاجتماع

من إعداد: د. شعلال باهية

السنة الجامعية: 2019/2018

Scanné avec CamScanner

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

قسم علم الاجتماع

مطبوعة دروس في مقدمة لطلبة السنة الأولى–علوم اجتماعية–

مقياس مدخل إلى علم الاجتماع

من إعداد: د. شعلال باهية

السنة الجامعية: 2019/2018

مدخل

لاشك أن المعرفة البشرية قد مرت بمراحل كثيرة ومثيرة استطاعت من خلالها التعرف أكثر على ذاتها ،والكشف عن حقائق جديدة جعلت من العلوم المختلفة تنبثق من الفلسفة كأم للعلوم، وبالتالي كان لزاما علينا التطرق إلى أهم المراحل الأولى التي عرفها علم الاجتماع أيضا قبل أن يكون علما مستقلا بذاته كما هو الحال عليه اليوم.

إن أول سؤال يتبادر الى الأذهان عندما يقبل أي شخص على أي تخصص أكاديمي أو حقل دراسي هو: ما هو هذا العلم الذي هو بصدد دراسته؟ و ما هي المواضيع الأساسية التي يتميز بها؟ وما هي الطرق التي يمكن استخدامها من أجل الوصول إلى نتائج علمية؟ والجدير بالذكر أن الكثير من الأشخاص يجدون سهولة في فهم العلوم الأخرى وتحديد مجالاتها وطرقها، إلا أنهم يجدون صعوبة في فهم علم الاجتماع وموضوعاته، وطرق بحثه، كثيرا ما يحمل إجابات متعددة ومختلفة.

ولتوضيح المنظور المتميز لعلم الاجتماع لابد من الإشارة إلى أن المعرفة بصفة عامة ذات أوجه متعددة ومختلفة، حيث يمكن رؤيتها في أشكال مختلفة، وهذا ما يتطلب أيضا طرقا مختلفة، وإذا كان علم الاجتماع عبارة عن البحث عن المعرفة فإننا أيضل لا ننتظر منه تزويدنا بالحقيقة النهائية وإيجاد حلول لمشاكلنا بقدر ما ننتظر منه توفيرنا بعدد من الآراء التي تساعدنا على الحصول على أكبر قدر ممكن من الفهم للحياة الاجتماعية، وهذا الفهم نفسه لا يعتبر حقيقة نهائية لأن الحقيقة إذا عرفت توقف البحث وأصبح إيمانا واعتقادا بدلا من شيء قابل للفحص والاختبار وبناءا على هذه الاعتبارات فإن منظور علم الاجتماع يقوم على عدة تساؤلات وآفاق ومصطلحات وقضايا وأسئلة، فإدراكنا للعالم الاجتماعي الذي نعيش فيه وما نضعه من الأسئلة التي نطرحها حوله مع الإجابات التي نتوقعها كلها أمور تتعلق بالمفاهيم والمصطلحات التي نستعملها والتي تساعدنا على تنظيم وإدراكنا بهذا العالم.

الدرس (1): بداية المعرفة البشرية:

1_ النظرة الانسجامية للكون

2_ تطور التقنيات والمعارف

أ_ في علم الفلك والتنجيم

ب_ الرياضيات

ج_ في الاختراعات

يمكننا أن نبدأ أو نفتتح سجلنا المعرفي حول البوادر الأولى لنشأة علم الاجتماع، بطرح سؤال مهم جدا،مفاده: كيف كان يفكر البشر و كيف كانوا يتصورون الكون و الحياة، في زمن المجتمعات البدائية، ثم في زمن الحضارات الأولى؟.

1- النظرة الإنسجامية والتجسيدية للكون:

من خلال الدراسات العديدة التي تراكمت منذ القرن التاسع عشر حول المجتمعات و القبائل البدائية، وأيضا الدراسات للأساطير الموروثة عبر التاريخ، كما الدراسات المباشرة الميدانية لبقايا هذه المجتمعات الموجودة في أمريكا الجنوبية وإفريقيا و أستراليا حتى القرن العشرين... استطاع العلماء ومنهم خاصة الأنثربولوجيون تكوين صورة عن نظام هذه المجتمعات وعن خصائص بنية تفكيرهم.

أولى صفة تميز نوعية التفكير هي النظرة الانسجامية للكون بحيث لا يفصل البشر البدائيون بين عالم المعادن و عالم النبات وعالم الحيوان و عالم الإنسان يظهر الكون كأنه وحدة منسجمة.

الصفة الثانية هي النظرة التجسيدية بمعنى أن الإنسان البدائي يجسد بعض الخصائص الإحساسية والذهنية الخاصة بالإنسان في كائنات من غير النوع البشري، مثل النبات أو الحيوان أو كائنات معدنية،وهكذا يعتقد أن للمطر أو للنهر أو الجبل أو السماء أحاسيس،فكان الفيضان مثلا هو غضب النهر أو المطر بمعنى أنه فعل إرادي سلبي أو ايجابي من طرف السماء لتنتقم من البشر...الخ.

الصفتان، التجسيدية و الانسجامية نجدها في ظاهرة الطوطم مثلا الذي هو في أغلب الأحيان صورة لحيوان، و يعتقد أعضاء القبيلة أنهم ينحدرون من هذا الحيوان، هم من نسبه و جلدته و يتصورون أنه ذو إحساس وقادر على التقدير مثل الإنسان بل ربما أكثر منه.

الصفة الثالثة هي السحرية بمعنى أن الظواهر كلها تخضع في نظرهم إلى أفعال كائنات خيالية من أنواع مختلفة، ومن ثم اعتقادهم أن بإمكان الإنسان أن يتدخل في مجرى الظواهر دينية طقوس غذائية أو عمليات مثل الأضحية أو بواسطة إجراءات سحرية، سواء كلمات أو أخرى وهكذا نراهم يتظاهرون بعبادة الحيوان وظواهر طبيعية أخرى.

من خلال كل هذا تظهر لنا أن و كأنها مجالا يختص به ما يسمى بالعراف، الذي يعرف فعالية الإجراءات السحرية، وتقنياتها مثل الطلاسم (ألغاز) و أنواع أخرى لا تزال مستعملة إلى يومنا هذا في بعض الأوساط الاجتماعية و بعض المناطق.

2- تطور التقنيات و المعارف:

بعد المرحلة البدائية عرفت البشرية تطورا في بعض المناطق من الكرة الأرضية،هكذا تشكلت ما يسمى بالمجتمعات، أو الحضارات النهرية التي يرجع زمانها إلى سبعة ألاف سنة قبل الميلاد،نجد من بينها الصين و الهند، بابل، ومصر.

نسجل في هذه المجتمعات تطورا هائلا للتقنيات على مختلف الميادين مثل الفلاحة،وصناعة المعادن و الفخار والنسيج والبناء و الري...الخ،ظهرت كذلك في هذه المرحلة التاريخية الكتابة في أشكالها الأولى،كما ظهر الحساب الرياضي و الهندسة.

أهم الاكتشافات التي جاءت في الألفية الثالثة قبل الميلاد:

صناعة المعادن(3000ق.م)، و في نفس الألفية الفخار،أما الة الفخار ففي (2500ق.م) وعجلة النقل، عرفت الفلاحة استعمال أنواع مختلفة للحيوان واستعمال السقي، أما الكتابة فقد اكتشفت في منتصف الألفية الخامسة (ق.م) ومن جهة أخرى تطورت أيضا المعارف مثل:

- في علم الفلك وعلم التنجيم: اللذان شكلا اهتماما بالغا، فالكواكب في اعتقاد الناس تؤثر على حياة الإنسان وسلوكه، فمثلا نسجل أن في مصر يستندون على المعرفة الفلكية لتقسم السنة إلى 365 يوم:12شهرا و لكل شهر 30 يوما،إضافة إلى 5أيام لإكمال السنة.

كما نجد للكلدانيين ملاحظة دقيقة لحركة النجوم، التي سمحت لهم بوضع تقويم سنوي(calendrier)،وكذا اكتشاف بروج الأفلاك الذي يسمى اليوم بالتنجيم(antrologie).

في الطب: بالرغم من المعتقدات السحرية و الخارقة للطبيعة هناك تراكم لسجل المعطيات الوضعية المرتبطة بحالات مرضية، الشيء الذي أدى إلى اكتساب تقنيات العلاج الطبي ذات فعالية نسبية (مثل الحقن الصيني).

الرياضيات: لقد تطورت على أساس ملموس،مثلا عند تنظيم عملية توزيع المياه النهرية،وأيضا عمليات الحساب التابعة لجلب الأموال و الضرائب.

أما تصورات الكون عند هذه الحضارات فكانت في أغلب الأحيان، ترى الأرض شبه جزيرة تحتها المياه، وفوقها قبة السماء"القبة الزرقاء"سماء مرصعة بالنجوم.

أما نوعية التفكير والتصور العام للوجود فكانت لها طابع ميثولوجي أسطوري،والأسطورة هي قصة تتحدث عن عهد التكون، أي أصل الكون و أصل البشر، وتروي لنا الأسطورة أفعال عدة الهة في عملية نشأة الكون و وتنظيمه والآلهة كائنات خيالية متشكلة من مزاج بين الإنسان والحيوان، وفي بعض الأحيان كائنات فلكية مثل الشمس أو القمر...الخ.

ثم نلاحظ في أواخر هذه الأزمنة أي في نحو ثمانية قرون قبل الميلاد ،خاصة في الصين واليونان، تغييرا داخل محتوى الأساطير، فأصبحت الأسطورة تذكر أشياء أخرى عوض الكائنات الإلهية الخيالية.

_ في الاختراعات: في الأخير يمكننا القول أن الاكتشافات و الاختراعات خلال الفترة التاريخية هي نتيجة الصدفة والممارسة الحياتية والإنتاجية الطويلة الأمد،وهي ممارسة مرت عن طريق التجربة العفوية من خلال معيار النجاح والفشل.

ومهما بلغ ما اكتشفه الإنسان في هذه المجتمعات من معارف و رغم أنه يدل على قدرة الإنسان على الملاحظة وعلى استخلاص النتائج من التجربة، إلا أنه لا يمكن إثبات وجود"علم" في هذه المرحلة بحيث يتطلب العلم تحديد لموضوع المعرفة والتفكير في مناهج، اكتسابها وذلك الشرط كان غير موجود.

بالنسبة لحضارة بابل التي عرفت الكثير من التغيرات والتطورات عبر التاريخ فقد كان من المهم أيضا الإشارة إلى دور اللغة الذي كان مهما في نشأتها حيث أن الأسر اللغوية تعود إلى اللغة الأكادية السامية لأهل بابل والتي تعد من أقدم اللغات في مجموعة لغات المشرق العربي القديم المعروفة باللغات السامية، كما كشفت التنقيبات عن مجموعة من النصوص الأكادية التي كتبت في ذلك العصر بالكتابة المسمارية التي اشتهر بها البابليون ، وقد سميت هذه اللغة كذلك نسبة إلى موطن نشأتها في عهد الأكاديين واستمرت وبقيت لغة

رئيسية للبابليين من بعدهم حتى سقوط بابل سنة 539 ق.م فانقسمت هذه اللغة إلى لهجات،وقد بدأت واستمرت اللغة البابلية في بلاد بابل مع بداية الدولة البابلية وانتهت بانتهائها ، وقد كان جليا استعمالها في قانون حمورابي من خلال بعض الرسائل و الوثائق الدينية و الاقتصادية والأعمال الأدبية التي سجلت آنذاك.

أما عن المعتقدات الدينية لحضارة بابل فلم تكن وليدة عصرها إذ كانت عبارة عن مجموعة من المعتقدات التي ورثوها عمن سبقهم و ورثوها لمن بعدهم، والجدير بالذكر في هذا هو أن المعتقد الديني يقوم على التسليم بوجود كائن متسام تلتزم البشرية أمامه بواجبات معينة، وغالبا ما كانوا يربطون هذا الكائن الذي يسمونه إلاها بمظاهر الطبيعة الخارقة، فجعلوا من الشمس والقمر والكواكب والنجوم آلهة يعبدونها.

اعتقد البابليون أنته خلقوا من طين على شكل يشبه الآلهة البابلية ، وأنهم خلقوا في هذه الحياة للعبادة وطاعة المعبود وتقديم القرابينن وكانوا يعتقدون أن نهاية الإنسان هي أن تنفصل روحه عنه بعد الموت وتذهب إلى عالم الأرواح السفلى وتخلد هناك ، وتتحول الروح الغاضبة إلى شيطان مؤذ أما الميت الذي يعتنى به فروحه لا تعود إلى الأرض إلا بالإحسان.

من أهم ما تمخضت عنه الحضارة البابلية من إنجازات، نجد حدائق بابل المعلقة، وهي من أعجوبات الزمن، كما نجد أيضا قانون حمورابي الذي عرف بلقب "صانع القانون" حيث أصبحت من الدول المعروفة في بلاد ما بين النهرين، زمن أهم المراكز في التعليم تاريخيا، وقد حكمها حمورابي بقوانين متينة اعتمدت على قاعدة العين بالعين والسن بالسن، فكل مرتكب للخطأ لديه عقوبة حسب الجرم المرتكب، ولم يدعي حمورابي الألوهية كغيره، لكنه ادعى أنه خليل الله.

بينما حضارة الصين التي تعد من أقدم الثقافات في العالم، و التي تغطي منطقة جغرافية كبيرة في شرق آسيا بعادات وتقاليد مختلفة ومتفاوتة بين المناطق، ومن بين اهم مكونات الحضارة الصينية نجد الأدب والموسيقى والفنون البصرية وفنون الدفاع عن النفس والمأكولات والدين إلى غير ذلك.

لقد كان عند الصينيين نوعا من الصراعات بين الفلسفات في الكثير من الأحيان، ونلاحظ أنه وإلى يومنا هذا تعتبر اختبارات وثقافة الجدارة ذات قيمة كبيرة في الصين، ومع زيادة القوة الاقتصادية والعسكرية الأوروبية ابتداءا من منتصف القرن التاسع عشر اكتسبت الأنظمة غير الصينية من المنظمات الاجتماعية والسياسية اعتناقا في الصين، بعضا من هؤلاء الإصلاحيين رفض تماما الإرث الثقافي في الصين، بينما البعض الآخر يسعى إلى الجمع بين نقاط قوة الثقافات الصينية والأوروبية.

إن تاريخ الصين في القرن العشرين هو أحد القرون التي تم تجريب أنظمة جديدة للمنظمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي تسمح بإعادة إدماج للأمة في أعقاب انهيار الأسر الحاكمة. بالنسبة للغة في الحضارة الصينية فقد كان الخط الصيني الكلاسيكي يستخدم منذ آلاف السنين ولكن تقريبا كان محجوز للعلماء والمثقفين الذين يشكلون الفئة العليا من المجتمع، ثم أصبح الخط لاحقا تجاريا يعمل به الفنانين المشهورين حتى أصبح من ممتلكاتهم الثمينة، لقد أخذ الأدب الصيني زمنا طويلا منذ القدم حيث أن أقرب عمل في الصين كان كتاب " التغيرات" الذي يعود إلى حوالي 1000 سنة قبل الميلاد.

أما عن حضارة مصر القديمة فهي تعد من أقدم الحضارات على الأرض، وبالغرم من ضعفها في بعض الأحيان إلا أنها كانت تستعيد قوتها لتعود أقوى من السابق، وهذا ما ساعد على استمرارها لعدة قرون. وقد ظهرت فيها الهندسة المعمارية في فترة 2613 – 2181 ق.م، وتطورت بشكل ملحوظ حيث شيدت أكثر المعالم شهرة في مصر مثل الأهرامات وتمثال أبو الهول، وفي فترة 2181 – 2040 ق.م عرفت تدهورا في قوتها وثروتها ، كما ظهرت قوتان تتقاتلان من أجل الوصول إلى الحكم والسلطة العليا، وفي النهاية هزم ملك "طيبة " "منتوحوتب الثاني " جيش "هيراكونبوليس" واتحدت مصر تحت حكم طيبة، وهكذا توالت الفترات التاريخية للحضارة المصرية بين هبوط وصعود حتى آخر سلالة للبطالمة مع الملكة كليوبترا التي انتحرت في 30 ق.م بعد هزيمة قواتها على يد الرومان، فبقيت مصر تحت سيطرة الرومان، وبعدها تحت السيطرة البيزنطية، إلى أن غزاها المسلمون بقيادة الخليفة عمر بن الخطاب و أصبحت تابعة للخلافة الإسلامية.

بالنسبة لانجازات الحضارة المصرية القديمة نجد ابتكارهم للكتابة الهيروغليفية والديموطيقية، وفي الرياضيات والهندسة المعمارية، وابتكار أساليب حديثة للزراعة والري.

وفيما يتعلق بالدين فقد كان هناك إله الشمس، وإله الموتى وغيرهما، كما كانت هذه الآلهة تتغير تدريجيا مع تغير العصور، وكانت توضع في مكان مغلق ولا تظهر للناس إلا في مناسبات معينة، وللعبادة في المنازل استخدم المصريون تماثيل صغيرة تجسد الآلهة ، كما ربط المصريون الحياة الآخرة بالتحنيط من أجل الحفاظ على الجسد بعد الموت.

اقتصاد مصر كان مرتبطا بالزراعة بسبب خصوبة الأرض في وادي النيل، وكان إنتاجها الزراعي وفيرا جدا لدرجة أن الأموال التي كانت تجنى من الزراعة كانت تستخدم في بناء المعابد والأهرامات، أما بالنسبة للتجارة فقد ساعد نهر النيل على تطويرها فانتشرت بذلك الأسواق على ضفاف النهر، وكانت تكلفة نقل السلع التجارية عبر النهر أقل من تكلفة النقل عبر البر، وكان النيل نقطة الوصل التي تنتقل البضائع من خلالها من إفريقيا إلى البحر الأبيض المتوسط، أما الحملات التجارية بين الجنوب والبحر الأحمر فقد كانت للبحث عن السلع الثمينة التي تعطي قيمة كبيرة لنفوذ مصر، مثل العاج والذهب والعبيد السود حينها.

تطور أيضا علم الفلك في الحضارة المصرية القديمة حيث بدأ اكتشاف الدوائر الحجرية والتي يعود تاريخها إلى الألفية الخامسة قبل الميلاد، واستخدمت في التنبؤ بحدوث الفيضانات في تاريخ وادي النيل، كما وضع المصريون نظام الأبراج، و وضعوا نظام تقويم خاص بهم. وفي الفن فقد اشتهروا بفن المقابر والجداريات، حيث اعتقدوا أن الحياة تستر بعد الموت، لذلك تفننوا في المقابر ليتمتع الميت بالرفاهية بعد الموت حسب اعتقادهم، وتجسد الفن المصري أيضا في التماثيل المحفورة من الصخر مع طلائها بالمعادن، والرسومات على جدران المنازل، والتصاميم الهندسية المختلفة.

الدرس (2): الفلسفة اليونانية

1_ نشأة الفلسفة وفكرة النظام الكوني

2_ الفلسفة الاغريقية

3_ الفلسفة الأمبريقية

الفلسفة اليونانية

1- نشأة الفلسفة وفكرة النظام الكوني*:

الشيء الجديد في العصور القديمة،جاء مع اليونان حيث نشأت الفلسفة،و أصبحت المعرفة موضوعا للتفكير، حيث ينبغي أن يفهم تاريخ الفلسفة كسلسلة من الادعاءات الفكرية والأخلاقية الخطرة حول القضايا الأساسية، والحال أن الإجابات الفلسفية تراوحت منذ ذلك الحين من تعزيز البحث عن السعادة الشخصية إلى الاضطلاع بحس لا-أناني لواجب خدمة الآخرين.

لقد قاد التفكير في نظام الكون الفلاسفة إلى اعتبار الكائن الحي خاضع إلى قانون معين يتحكم في تطوره الداخلي والانتباه إلى قدرة الحياة على مقاومة كل الاعتداءات المتأتية من الوسط وإلى التعامل مع الطبيعة بوصفها كوسموس.

أ- النظرة الفلسفية العقلانية:

إن التغيير الجذري في نوعية التفكير قد حدث في ظرف لا يتجاوز قرنين، فالفلسفة العقلانية هي النظرة المعرفية التي تعد العقل الذي هو المنطق مصدرا رئيسيا واختبارا للمعرفة، أو أنها وجهة نظر تميل إلى اعتبار المنطق (العقل) مصدرا للمعرفة والتبرير، إذن تعتبر العقلانية على انها المنهجية أو النظرية التي يكون معيار الحقيقة فيها فكريا وليس حسيا، وما حدث على الصعيد الفكري لا يمكن فصله عن التغيير العام،الذي عرفه المجتمع اليوناني، لكننا نهتم بالجانب الفكري.

- المرحلة الأولى: الفلاسفة الأوائل:

هم مجموعة من مفكرين و أشهرهم "طالس"(thales)و أناكسيمندر(anaximandre) و فيثاغور(phythagare) وهراقليط(heraclite) و غيرهم، يعتبرون هم الممهدون الأوائل لبزوغ الفلسفة في بلاد الإغريق في القرن السادس قبل الميلاد وقد جاء هؤلاء بأربعة أفكار أساسية:

---

*Gurvitch George,Traite de sociologie,puv,paris,1968,p20.

– ميزوا بين ما هو طبيعي وما هو خارق للطبيعة، إذ حاولوا أن يفسروا الطبيعة أي اللجوء إلى أسباب طبيعية لحدوث الظواهر الطبيعية أي كانت غاية بحثهم اكتشاف الأسباب، حيث واجهوا الفكر الأسطوري السائد حينه، والتفكير في الطبيعة كموضوع أساسي بالبحث عن أصل الكون والعناصر المحددة له، وبالتالي فالتسمية بالطبيعيين تعود إلى أنهم فسروا الطبيعة بعناصر من الطبيعة من باحثين عن المبدأ الأول للطبيعة، بمعنى المبدأ المؤسس للوجود، أو أصل الوجود، وهذا كله بعيدا عن التفسيرات الأسطورية الخيالية والغريبة.

– اعتقدوا أن للكون نظام يجب اكتشافه لأنه خفي. فقد كان الإنسان في الماضي يتقبل بسهولة الظواهر الغامضة في الطبيعة، أو الخارقة لقوانين الطبيعة، باعتبارها حقائق يتعين عليه التعامل والتعايش معها، خاصة بعد أن أدرجتها الأديان السماوية والوضعية والعديد من الفلسفات في أدبياتها ونصوصها، لكن سرعان ما تجاهل العلم والعلماء كل ما هو خارج الفكر والعلم التجريبي والملموس ماديا، واعتبروا ما هو خارج ذلك ضربا من الشعوذة والخرافة.

– اعتقدوا أنه لا يمكن للإنسان أن يتعرف على هذا النظام الخفي، وأن يعبر عنه بلغة ملائمة،وهنا ظهرت كلمة " لوغوس"، "logos" التي تدل على النظام الكوني، والقانون الكوني وأيضا المنطق واللغة في نفس الوقت. ويعتبر اللوغوس هو الشيء الوحيد الثابت الذي لا يتغير وهو دائم السيلان باعتباره القوة الغامضة التي يخضع الجميع لسطوتها، ولا تستثني حتى الآلهة .

– وضعوا نظريات كونية، عالجوا فيها أهم المسائل المطروحة على الإنسان و هي مسألة أصل الكون، ومسألة التغيير و إمكانية المعرفة، ومسألة بنية الكون أو نظامه. وقد أرجع الحكماء الطبيعيون كل ما هو متعدد إلى واحد، أي أنهم أرجعوا فكرهم التفسير الطبيعي الذي كان يقوم على تعدد العناصر إلى عنصر وحيد في الكون وهو كما يقول طاليس "الماء أصل الأشياء"، إلا انه يتم تطوير نموذج نظري كامل له مقتضيات ونتائج على كل من فلسفة العلوم ونظرية المعرفة، حيث تحاول كل نظرية تفسير حالة الأجسام الكونية المختلفة قبل وبعد حسب التغيرات التي تطرأ عليها.

- **المرحلة الثانية:**

وصول جيل جديد من الفلاسفة ومنهم أمبيدوكل (Empedocle)، وأن كسافور Amascargor وديموقريط Democrite ، وهؤلاء ناقشوا مواقف الأوائل وانتقدوها وصححوها، وهنا تظهر أول ما يشبه مناقشة علمية،وفي نفس المرحلة ظهرت هناك مدرسة أو حركة فكرية عرفت باسم"السفسطائية التي اهتم أعضاؤها بإمكانيات التعبير اللغوي و قد ساهموا بقسط كبير في ضبط المعاني و الألفاظ الشيء الذي أدى إلى إثبات اللغة المنطقية و جعلها وسيلة للمعرفة. وقد كانت مهتمة بفن البلاغة والجدل وليس البحث عن الحقيقة، بل الارتباك والتظاهر، ترتبط الحقيقة بهم حسب فائدتها وسبل المنفعة من هذه الحقيقة، فلا توجد قيمة تتجاوز هذه المنفعة، وينكر السفسطائيون الحواس والحدس والأشياء الأخرى التي يدركها المنطق أو يقبلها في ظل ظروف اجتماعية سليمة. كما طرح السفسطائيون القضايا التي تحمل جانبين وتأييدهم للجانبين، فدافعوا عن الخير والشر والصواب والباطل في نفس الوقت، وصل بهم الأمر إلى التشكيك في الدين وقضاياه حاليا.

لقد كانت السفسطائية في هذه المرحلة ذات أهمية بالغة في الحياة الاجتماعية والنظام السياسي خاصة في أثينا، فقد شكلت هذه الحركة مصدرا لجني الأموال لكل من أتقنها، لكن كان لهذا الأمر أثر سلبي عندما اتجه الكثيرون إلى اعتماد الخبرات الخطابية في التعامل مع الحالات القضائية غير العادلة والسلطة السياسية، والذي تجلى في تدني مستوى نظرة الناس لمن يتبعون السفسطائية وأفكارها والتعاليم المرتبطة بها.

المرحلة الثالثة:

هي مرحلة الحوصلة والتركيب مع أفلاطون (Platon) و أرسطو (Aristote).

يهمنا أفلاطون هنا من ناحية فلسفته للمعرفة أي نظرياته للعلم، نجد عنده الأفكار التالية:

- فكرة تفضيل الرياضيات،والعقل كوسيلة للمعرفة والبحث العلمي على حساب الملاحظة والحواس.

– الفكرة بأن هدف البحث المعرفي هو اكتشاف المبادئ المجردة المخفية وراء المعطيات الحسية والظواهر الملموسة، يظهر هذا الاهتمام من خلال ما يقوله الباحث المعاصر"للويدLLOYD" عن أفلاطون بأنه هو الذي وضع المسألة الأساسية التي أصبحت فيها بعد الشغل الشاغل للفلكيين خلال أكثر من عشرة قرون، أي حتى مجيء العالم "نيوتن Newton" و هي:" ما هي الحركات المنتظمة المحتملة التي تفسر الحركة الظاهرة للكواكب؟"

– فكرة أن علم الفلك هو علم رياضي محض حسب أفلاطون وهو في ذلك يشاطر رأي فيطاغور، الكون له بنية أو أساس رياضي.

– فكرة الغائية الكلية بمعنى أن الكون بما فيه من كائنات فهو موجود من أجل غاية معينة.

أما أفكار أرسطو فتتمثل في أنه بإمكاننا اعتبار أعماله قمة المعرفة القديمة و بقي تأثيره على الفلسفة و العلم حتى القرن الخامس عشر تأثيرا شاملا وعميقا. فنجد في كتابه المشهور " الأرقانون Organon" نظرية مكتملة للمعرفة للعلم و عن قيمتها عند الإنسان وعن مناهجها و غايتها.

– المعرفة عنده هي معرفة بالأسباب أي العلل،و العلل أربعة أنواع:

أ– العلة المادية : ما يتم توليد الشيء منه، وما يصنع منه (مثلا التمثال يصنع من البرونز)

ب– العلة الصورية : وهي البنية التي تحققها المادة وتصبح بموجبها أمرا قابلا للتمييز (مثل: شكل سقراط نفسه الذي بموجبه يمكننا القول عن كمية البرونز بأنها تمثال سقراط).

ت– العلة الفاعلة : وهي الطرف المؤثر المسؤول عن اتخاذ كمية المادة لصورتها (مثلا: النحات الذي شكل كمية البرونز بهيأتها الحالية: أي صورة سقراط).

ث– و العلة الغائية: هي غاية أو هدف التراكب بين الصورة والمادة (مثلا: صنع التمثال لغاية تكريم سقراط).

و يقول أرسطو في هذا المجال: " نعرف واقعة ما، لما نعرف العلة المتصلة بالواقعة كأنها علة هذه الواقعة، ونعرف أن هذه الواقعة لا يمكن أن تكون غيرها" (مثل سبب وجود المطر هو الغيوم و الرياح، فالغيوم تأتي بالمطر وليس الشمس أي لا يمكن للغيوم أن تجلب غير المطر).

– في نظر أرسطو نصل إلى المعرفة عن طريق البرهان القياسي الذي يشكل وسيلة منطقية ما بين الوسائل الأخرى من المنطق(Logique) الأرسطي.

– يعتقد أرسطو مثل أفلاطون أن الطبيعة ذات طراز عقلي مقصود يجب اكتشافه، خاصة فيما يتعلق بالكائنات الحية، لكن كان يختلف عن أفلاطون بحيث يعتبر البحث الميداني في الظواهر الملموسة أو عملية الملاحظة وسائل معرفية هامة جدا، فقام هو بنفسه ببحوث في الطبيعيات و"الزولوجيا"، حيث استطاع أن يحصي و يصف خمس مائة أنواع من السمك، و ستين نوعا من الحشرات، كما استعمل في بحوثه الزولوجية عملية التشريح (Dissection).

– اختلف كذلك أرسطو عن أفلاطون وحتى عن موقف الذريين،مثل ديموقريط في تعريفه للمادة عوض النظرية الكمية أو الرياضية المعتمدة عند الأوائل، مفهوم المادة الأرسطي يحتوي على تحديد أربعة عناصر و هي: التربة / الماء/النار/الهواء، و أربعة صفات وهي: البارد/الجاف/الرطب/الساخن، كل عنصر متكون من مزاج للصفات، فنجد التربة باردة وجافة، أما الماء فهو بارد و رطب،وهذا لقد كان مجال المعرفة واسعا جدا عند أرسطو و أعماله شبه موسوعه.

وفي كتاب "الطبيعة"، يضع أرسطو إدعاءين بشأن هذا المخطط العلي الرباعي:

أولا: من الضروري ذكر العلل الأربعة جميعها إذا أردنا للتفسير أن يكون كافيا.

ثانيا: هذه العلل الأربعة كافية للمطابقة في التفسير.

إن كلا هذين الإدعاءين يتطلب بعض التفصيل، وكذلك بعض بيان أهليته لذلك.

أما فيما يخص ادعاء (الضرورة) فإن أرسطو لا يفترض أن كل الظاهرات تقبل العلل الأربعة، ولذلك مثلا تفتقر الصدفة للعلة الغائية، وذلك لأنها لا تقع من أجل أي شيء، زهو

ما يجعلها صدفة في النهاية، فإذا كان أحد المقترضين قد خرج إلى السوق ليبتاع الحليب، والتقى في طريقه بمن أقرضه المال وهو في طريقه ليبتاع الخبز، فربما يوافق حينها على إعادة المال الذي اقترضه فورا، وعلى الرغم من أن هذا اللقاء قد تمخض عن نتيجة مطلوبة، فإنه لم يكن بفي لأصل بهدف تسديد القرض، ولم يكن لأي هدف على الإطلاق، وإنما كان مجرد صدفة، ولهذا فهو يفتقر للعلة الغائية. وعلى نفس المنوال، إذا اعتقدنا بأن هناك تجريدات في الرياضيات أو الهندسة مثلا: وجود المثلث باعتباره جسما في الفكر مستقلا عن أي تحقق مادي، فعندها يفقد المثلث علته الغائية. مع ذلك فإن أرسطو يتوقع أن تتكيف الأغلبية الغالبة من التفسيرات مع مخططه العلي الرباعي، ويؤكد أرسطو في الحالات التي لا تحتوي على استثناءات، على أن الفشل في تحديد كل العلل الأربعة يعتبر فشلا في كافة التفسير.

أما فيما يخص ادعاء (الكفاية) فهو لا يقبل استثناءات، لكل ربما نضلل القارئ إذا تركنا هذه المسألة وثيقة الصلة دون أن ندلي بالملاحظات حولها، ولقد قدم أرسطو مثالا توضيحيا للعلة المادية، فبدأ أولا بالبرونز في التمثال، والفضة في الطبق، ثم ذكر أيضا الأجناس التي يعتبر البرونز والفضة من أنواعها، وهو يعني أن أجناس المعادن التي ينتمي إليها الفضة والبرونز أو بشكل أعم المعادن، أي: يمكن للمرء أن يحدد العلة المادية لوضع ما بشكل تقريبي نوعا ما، وذلك بتحديد طبيعة المادة بشكل دقيق نوعا ما، فعندما يذكر أرسطو ضمنيا بأن ذكر العلل الأربعة كاف للتفسير، فإنه لا يقصد الاقتراح بأن ذكرها يكفي مع أي مستوى من مستويات التعميم، بل يقصد أرسطو التشديد عوضا عن ذلك، على أنه ليس ثمة نوع خامس من أنواع العلل، ولا يقدم أرسطو محاججة كاملة لهذا الاستنتاج ، لكنه يتحدى قراءه أن يحددوا أي نوع من العلل يمكنه أن يتمتع بما يؤهله ليكون نوعا مميزا ومضافا عن العلل الأربعة المقدمة.

من خلال ما سلف حول العلل الأربعة لأرسطو، فإن مخطط هذه العلل يمتلك كل المعقولية الحدسية، حيث يمكن أن تقدمها الأمثلة التوضيحية التي ساقها أرسطو إذ لا يقنع بهذا الحد، بل يعتقد عوضا عن ذلك بأنه قادر على المحاجة بقوة بأن العلل الأربعة عوامل تفسيرية حقيقية، إذ أنها من ميزات التي يجب ذكرها ليس فقط لمجرد أنها تقدم تفسيرا مقنعة،

بل لأنها في أصلها عوامل علية إجرائية، وإذا غاب أحدها أصبح أي تفسير مزعوم مفتقرا للكمال، وبذلك يفتقر للكفاية.

2_ الفلسفة الإغريقية:

تمثل البداية الحقيقية للنظرية في علم الاجتماع خاصة عن الذريين و السفسطائيين، أين كان يسود الاعتقاد بأن المعرفة تشتق من الملاحظة و أن النقص في الحواس والإدراك يعد أحد المصادر الرئيسية للخطأ، فالسفسطائيون و على رأسهم (ديموقريطيس) مثلا، يعتبرون من رواد الفكر الاجتماعي المنهجي في المجتمع الإغريقي في صورتها البدائية، فهم يجسدون بوادر الفكر الاجتماعي المنهجي في المجتمع الإغريقي.، وهنا نشير أن المجتمع الإغريقي قد انتقل في هذه المرحلة من مجتمع ذو طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات وتنمية الحرف والاعتماد على الكفاءة الفردية والمبادرة الحرة، وأصبح المجتمع في ظل صعود هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة، أي التجار وأرباب العمل والصناعات، مجتمعا ديمقراطيا يستند إلى حرية التعبير والاحتكام إلى المجالس الانتخابية والتصويت بالأغلبية، ولم يعد هناك ما يسمى بالحكم الوراثي، أو التفويض الإلهي ، بل كل مواطن حر له الحق في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة

وهم يرون ضرورة الاعتماد على التجربة و الابتعاد عن التفسيرات الأسطورية الشائعة. كما يعتبر ظهور الفلسفة الإغريقية بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد كمؤشر للمعرفة في الحضارة اليونانية والفكر اليوناني في بداية المعرفة الفلسفية وأصلها وموطنها الأول، لهذا نقول دائما أن ظهور الفلسفة في الحضارة اليونانية هو كتفكير عقلاني مقابل التفكير الأسطوري الخيالي الذي كان عند اليونانيين قبل ظهور الفلسفة، ومن بين أهم خصائص الفلسفة الإغريقية نجد:

_ دراسة العلم من أجل العلم أي لذاته، حيث أن الفلسفة اليونانية تهدف إلى الوصول للمعرفة من حيث الغاية وليس من حيث الوسيلة، فدراسة العلم بالنسبة لأرسطو يكون بهدف معرفته فقط، وهذا أفضل من دراسته لتحقيق غايات دينية أو عملية عن طريقه، لكن الفلسفة بعد أرسطو اعتبرت العمل مكملا للعلم.

_ ارتكزت الفلسفة اليونانية كثيرا باعتمادها الضروري على العقل، حيث تميز الفكر اليوناني بالتحرر والطلاقة، والعقل اليوناني هو الذي يصيغ المشاكل بنفسه ويعمل على حلها بجهده.

3_ الفلسفة الأمبريقية:

وتعتبر أكثر نضجا من سابقتها من حيث اعتمادها بصورة أكثر على التجربة بتطبيقها مبدأ"دع الواقع يتحدث عن نفسه" و أهم ممثلي هذا التوجه الفلسفي الإمبريقي نذكر:جون لوك Locke. j. الذي يعارض نظرية الحق الإلهي، ويقول بأن الاختيار هو أساس المعرفة، وبأن الأفكار لا توجد داخل العقل البشري وإنما تتسرب إليه من الخارج عن طريق التجربة، فمثلا الطفل عند الولادة ما هو ألا ورقة بيضاء ودور العقل هو جمع وتنظيم المادة التي تأتيه عن طريق الحواس لدلك فوظيفة العقل ليست إبداعية وإنما هي تنظيمية فقط. والفلسفة الامبريقية أو التجريبية تعتبر فلسفة عملية وتطبيقية، تسعى إلى توفير أجوبة تتميز بالنظرة السليمة باللغة المتداولة، والفلسفة التجريبية هذه تشدد على الدور الكبير الذي تلعبه الحواس بجعلها مرافقا مثاليا للعلم، حيث سعت تلك الفلسفة إلى إنشاء المعرفة استنادا إلى الملاحظة والتجربة. ولقد نظر "جون لوك" إلى الفلسفة كطريقة فإزالة النفايات والعقبات التي تعترض طريق المعرفة، فقد ناقش العقلانيين أن الأفكار العقلانية مطلوبة من أجل فهم وتبرير المعرفة المستقاة من التجربة الحسية، باعتبار أن الحواس كثيرا ما تخذلنا، والظاهرة غير المفهومة كانت تفكك إلى مبادئ عقلاني قائمة عليها من أجل أن تفهم.ثم أن جون لوك ينتقد النزعة العقلانية بصورة ضمنية، حيث يعرض لنا فكرته المحورية حول الذاكرة الخالية، فالعقل حسبه يوجد كصفحة بيضاء، خال تماما من المضامين، وبفعل التجربة يكتسب العقل ضمنيا عبر تجميع الأفكار البسيطة أو المكتسبات الأولى، ويقسم بذلك جون لوك الأفكار البسيطة إلى أفكار نكتسبها من حاسة واحدة، مثل المكان، الشكل ، والحركة والسكون، ثم تأتي أيضا أفكارنا نحن التي تتمخض من قدرة الوعي على الشك والتفكير من أجل توليد أفكار جديدة.

لا يملك الفلاسفة التجريبيون أي معرفة فطرية للقيام باستنتاجات معينة ما لم تكن تلك المعرفة مستمدة من تجربة حسية سابقة لشخص ما لم تكن تلك المعرفة مستمدة من تجربة حسية سابقة لشخص ما، وعادة ما تتناقض هذه الفكرة مع الفلسفة العقلانية والتي تنص على

أن المعرفة قد تكون مستمدة من العقل بمعزل عن الحواس. على سبيل المثال رأى جون لوك أنه يمكن الوصول إلى بعض المعرفة مثل معرفة وجود الله من خلال الحدس والاستدلال.

الدرس (3): مساهمة الثورة الفرنسية وفلسفة التنوير في ظهور علم الاجتماع

1_ فلسفة التنوير

أ_ عصر التنوير ونظرية الفرد والمجتمع

ب_القيم الأساسية للتنوير

ج_ التيارات الفكرية السائدة

2_ الثورة الفرنسية

أ_ الثورة الفرنسية وعلاقتها بظهور العلوم الاجتماعية

ب_ الأسباب العميقة للثورة الفرنسية

مساهمة الثورة الفرنسية وفلسفة التنوير في ظهور علم الاجتماع

1_فلسفة التنوير:

أ- عصر التنوير ونظرية الفرد والمجتمع:

لقد انبثق عصر التنوير عن حركة أوربية فكرية علمية عرفت باسم " حركة النهضة الإنسانية"، كما يحدد المؤرخون الفرنسيون بداية عصر التنوير بالفترة ما بين وفاة لويس الرابع عشر في فرنسا سنة 1715 واندلاع الثورة الفرنسية سنة 1789 التي أنهت نظام الحكم القديم، بينما يحدد نهاية هذا العصر مع بداية القرن التاسع عشر، نشر الفلاسفة والعلماء في تلك المرحلة أفكارهم على نطاق واسع من خلال إجراء اللقاءات العلمية في الأكاديميات والمحافل الماسونية، والصالونات الأدبية، والمقاهي، وأيضا من خلال الكتب المطبوعة والصحف والمنشورات قوضت أفكار عصر التنوير السلطة الملكية وسلطة الكنيسة، ومهدت الطريق أمام الثورات السياسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تعود مجموعة متنوعة من الحركات الفكرية بما في ذلك الليبرالية والحركة الكلاسيكية الحديثة بأصولها الفكرية إلى عصر التنوير، اشتمل التنوير على مجموعة من الأفكار التي تركز على سيادة العقل والأدلة على الحواس بوصفها مصدرا أساسيا للمعرفة، وعلى المثل العليا كالحرية والرقي والتسامح والإخاء والحكومة الدستورية وفصل الكنيسة عن الدولة.

تضمنت المبادئ الأساسية لفلاسفة التنوير في فرنسا الحرية الفردية والتسامح الديني، مقابل الملكية المطلقة والعقائد الثابتة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. ويتميز التنوير بالتركيز على المنهج العلمي وعلى الاختزالية فضلا عن التشكيك المتزايد بالعقائد الدينية، وهو الموقف الذي سلط عليه الفيلسوف "كانت" الضوء في مقاله " تجرأ على المعرفة".كما كان اهتمامهم منصبا على إنتاج نظام أفكار أصيل، عام ومجرد يكون له أثر عقلاني.

لم يرفض مفكرو مرحلة عصر التنوير هذا النسق الفكري غير أنهم ركزوا جهودهم على استنباط أفكارهم من الواقع، واختباره في العالم الواقعي في د ذاته، حيث أرادوا المزج بين البحث الميداني بالعقل و بين النموذج، لذلك يعتبر هو العلم الطبيعي خاصة فيزياء نوتن، وكانت تلك اللحظة التي بدأ فيها التطبيق للمنهج العلمي في القضايا الاجتماعية. من جهة

أخرى فإن مفكري عصر التنوير لم يريدوا فقط إنتاج أفكارهم من العالم الحقيقي، بل وأرادوا أيضا أن تكون تلك الأفكار مفيدة لذلك العالم خاصة في التحليل النقدي للعالم الاجتماعي.

تتميز أيضا فترة التنوير تلك بالاعتقاد بأن بإمكان الناس إدراك الوجود والسيطرة عليه أيضا باستعمال العقل والبحث الميداني، وبما أن العالم الطبيعي محكوم بقوانين طبيعية فإن ذلك ينطبق إلى حد كبير على الحياة الاجتماعية أو العالم الاجتماعي، لذلك يكون لزاما على الفيلسوف استعمال العقل والبحث كي يكتشف تلك القوانين.

إن تركيز المفكرين في عصر التنوير على العقل جعلهم يرفضون الاعتقاد في السلطة التقليدية، فعندما درسوا القيم والمؤسسات التقليدية وجدوا أنها غير عقلانية، أي أنها منافية للطبيعة الإنسانية وتعيق التطور الإنساني، إذن كانت رسالة مفكري التنوير واضحة و موحدة تدعو إلى تغيير واستبدال كل النظم غير العقلانية في الحياة الاجتماعية.

كانت المجتمعات العتيقة و القروسطية في أوربا تبرر عدم المساواة الاجتماعية (العبودية، القنانة...) بالإدارة الإلهية، وكذب مفكرو عصر التنوير في القرن 18 م، بصورة فعالة وملموسة هذه الرؤية، فمن الضروري التأكيد أن أفكار هؤلاء الفلاسفة ما هي في الحقيقة إلا منتوج الأزمة السابقة، إذ كتب ديكارت"روني" (1596–1650) مثلا: " الفطرة السليمة هي أفضل شيء يشترك فيه جميع الناس في العالم" وهذا يعني أن الفرد يتمتع بعد ميلاده بنفس الفضائل التي يتمتع بها غيره مهما كانت أصوله الأسرية لكن التوظيف الصالح أو السيئ لهذه الفضائل هو الذي يجعل من الإنسان إيجابيا أو سلبيا، ونظرا لصعود البرجوازية منذ القرن 14،وبالرغم من العراقيل الكبيرة التي كانت تجابهها، بدأت الفلسفة تنفصل شيئا فشيئا عن الدين المسيحي الدوغماتي الذي كان يحارب بشراسة الممارسات العلمية والاكتشافات هنا وهناك، ومن بين العلماء و الفلاسفة المشهورين في تشكيل النظام الرأسمالي في المرحلة الحاسمة بأوربا نذكر " نيكولا كوبرنيق"N.coupernik (1473–1543) و " إسحاق نيوتن I.neyouten 1642–1727)، تبلورت أغلبية الأفكار في العلوم الطبيعية بفضل مفكري الوقت 17، وهكذا عكس ما يقال في بعض الكتب، واكتفى فلاسفة عصر التنوير في هذا المجال بالتكرار، بل تبسيط أعمال هؤلاء العلماء.

لقد اهتم علماء وفلاسفة عصر التنوير بصفة خاصة بمشاكل الفلسفة السياسية والأخلاق الدين و التاريخ، فلطالما أشيد بالتنوير على أنه أساس الثقافة السياسية والفكرية الغربية الحديثة، كما جلب التنوير التحديث السياسي إلى الغرب، وذلك فيما يتعلق بتعريف القيم الديمقراطية ومؤسساتها، وبناء ديمقراطيات حديثة وليبرالية تلقت هذه النظرية قبولا واسعا بين الباحثين الناطقين بالانجليزية ، ثم عززتها الدراسات الشاملة التي أجراها "روبرت دارنتون" و " روي بورتر ".وهذا بالرغم من أننا نجد في القرن 18 بعض العلماء البارزين مثل "جون دلمبير dalomber . J. 1783–1717" الذي دخل عضوا في أكاديمية العلوم برغم منه بسبب أعماله الهامة و الإبتكارية (26 سنة).

– إذن تظهر فلسفة التنوير من خلال المنظور الاجتماعي، بمثابة مرحلة تاريخية في التطور الشامل للفكر البرجوازي الأوربي الغربي،ويعتبر هذا الأخير بدوره حلقة حاسمة في تاريخ البشرية عامة.

إن التعريف الأكثر موضوعية ودقة من بين التعاريف الكثيرة لحركة عصر التنوير، هو ذلك الذي اقترحه ايمانويل كانط l.kant 1724–1804.

«الحركة الفلسفية للقرن 18 تتميز بفكرة التقدم وعدم الثقة في السلف والتقليد والسلطة المعرفية المطلقة، والإيمان بالعقل والتأثيرات الأخلاقية الخاصة بالتعليم،والدعوة إلى التفكير والحكم بصفة حرة». فالتنوير يبقى حركة فكرية خلال مرحلة تاريخية بشرية مهمة جدا في أوروبا في القرنين 18 و 19، قام به العلماء والفلاسفة الذين كانوا ينادون بقوة العقل وقرته على فهم العالم، وإدراك ناموسه وقوانين حركته، كما اعتمد التنويريين على التجربة العلمية والنتائج المادية الملموسة بدلا من الاعتماد على الخرافة والخيال.

ولنفهم الأفكار الأساسية للتنوير من الضروري أن نحلل النشاط الأكثر أهمية للبرجوازية آنذاك،وهو النشاط الاقتصادي، و لاسيما ظاهرة التبادل فلا يمكننا أن نتكلم بصفة مفيدة عن الاقتصاد، عندما يتعلق الأمر سواء بعائلة ريفية أو ملكية إقطاعية إذ نلاحظ في كلتا الحالتين سيطرة قيمة الاستعمال.

ب– القيم الأساسية للتنوير:

– العقد: يتطلب كل فعل شراء أو بيع عملية مدعمة بين فردين على الأقل،وتسمى الموافقة التي تتم بين إرادتين مستقلتين بالعقد.

– المساواة: يعتمد التبادل كذلك على الشرط المطلق للمساواة بين فردين أو أكثر. وقد عرف القرن 18 م بفرنسا قيام حركة فكرية تنبذ اللامساواة، ونشر أفكار جديدة تنتقد تكتل الحكم والأرسطقراطية ورجال الدين، المستفيدين من امتيازات خاصة عن باقي فئات الشعب، حيث تميز نظام الحكم في فرنسا قبل الثورة باستحواذ الملك والارستقراطيين وطبقة رجال الدين التي يصطلح عليها بالإكليروس على الحكم. في إطار حكم مطلق يستند إلى التفويض الإلهي، مع عدم وجود دستور يحدد اختصاصات السلطات. كما ألقى جون جاك روسو خطابه الشهير عن أصل الظلم اللامساواة بين البشر ، حيث فكك كل الأفكار القديمة التي تبرر الامتيازات والتفاوت الطبقي، وقال بأنه لا أصل لها ولا شرعية على الإطلاق.

– الديمقراطية: بالرغم من أن هذه القيمة شكلية في أغلب الأحيان، وهذا من خلال التحليل الموضوعي لهذه الظاهرة في المجتمعات الغربية، لكنها تصبح مستوعبة ومرسخة ضمن جل الطبقات الاجتماعية في النهاية، وتتم هذه النتيجة بواسطة الإيديولوجية التي تبث عن طريق المنظومة التربوية والمؤسسات الإعلامية و الثقافية.

– العالمية: إن البائع والمشتري يبحث في السوق عن شريك دون أخذ بعين الاعتبار الفضائل أو المميزات الشخصية لهذا الأخير.

– التسامح: لا تهم المعتقدات الدينية أو الأخلاقية في العملية التي تؤدي إلى تجسيد العقد.

– الحرية: لا يتم التبادل إلا بين شريكين يتمتعان بالحرية إضافة إلى المساواة.

– الملكية: لا يمكن أن تكون عملية التبادل ممكنة إلا إذا كان الشريكان يكتسبان شرعيا ثروات أو بضائع قابلة للتبادل.

تعتبر كل هذه القيم التي بنيت عليها العلوم الاجتماعية في الغرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من قبل المجتمع الرأسمالي بمثابة القيم الطبيعية والجوهرية لحياة البشرية جمعاء.

ج- التيارات الفكرية السائدة:

تشكل الفردية النقدية و عالمية القوانين، والتسامح و الحق في الملكية الخاصة، القاسم المشترك لفكرة التنوير وألغيت بعض النقاط من هذه القيم من قبل مفكرين خاضعين للجناح المتطرف في الحركة،ومن خلال هذه القيم المشتركة و الأساسية حاول مفكروا عصر التنوير بناء نظمهم المتعلقة بتفسير العالم،وقد برزت 3 تيارات كانت تتصارع وما زالت إلى يومنا هذا في صراعها هذا و تتلخص في:

- التيار المحافظ:

الذي يمثله أوجست كونت A.count. و يؤكد المحافظون التقليديون على المساعدة الذاتية وحرية الاختيار تحت مظلة عدم التدخل وعلى مجتمع رأسمالي متحرر اقتصاديا أي ليبرالي، مع تعاليم اجتماعية كقيمة الدين وقيمة الأخلاقية الدينية عبر إطار من حكم المحدود، وقد بدأ التيار المحافظ تعبيرا عن الفردية والحاجة إلى الحرية الشخصية.

- التيار الليبرالي:

هناك خمس مواضيع رئيسية في كتابات "جون لوك": الفردية، القبول، الأفكار المتعلقة بحكم القانون والحكومة على أنهم أوصياء، أهمية الملكية والتسامح الديني، على الرغم من أن لوك لم يطور نظرية القوانين الطبيعية، إلا أنه تصور أ الأفراد في الحالة الطبيعية أحرار ومتساوون. كان الأفراد بدلا من المجتمع أو المؤسسات هم النقطة المرجعية، كما آمن لوك بأن الأفراد هم الذين أعطوا الموافقة وللحكومات لذا فإن السلطة تأتي من الناس بدلا من أي قوة عليا. أثر هذا المعتقد لاحقا على الحركات الثورية. وقد كان متوقعا أن الحكومة ستخدم الناس بدلا من الحكام أنفسهم، كما كان متوقعا أن الحكام سيتبعون القوانين التي أصدرتها المجالس التشريعية، و الغرض من اتحاد الناس في جمهوريات وحكومات هو الحفاظ على ملكيتهم، ثم أن لوك أشار إلى أن للأفراد الحق في اعتناق أي معتقدات دينية ولا ينبغي على الدولة فرض الدين على المنشقين، لكن كان هنالك تقييد. لا يجب إظهار التسامح نحو هؤلاء المنشقين الذين نظروا إليهم على أنهم فاقدون للحس الأخلاقي، أو نحو الكاثوليكيون الذين كانوا يملكون ولاء للبابا فوق حكومتهم الوطنية.

- التيار الراديكالي:

الذي تمثله المدرسة الاشتراكية، سواء في فرنسا أو ألمانيا وهذا ما جعل تعريف وممارسة علم الاجتماع أمرا عويصا ومعقدا حتى في البلدان الغربية. وتعرف الفلسفة الراديكالية بالتزامها اتجاه العديد من المبادئ التي جعلتها أكثر الفلسفات قبولا وشهرة، وهذه المبادئ تتمثل في :

_تحقيق إصلاحات جذرية في المجتمعات، وهو هدف نفعي، حيث ارتبط مفهوم الراديكالية بمفهوم النفعية الذي أسسه جون ستيورت ميل و بنتام، وتطورت الراديكالية والبراغماتية باعتبار الإصلاح هدفا نهائيا.

_ الحرية بحيث كان الفيلسوف جون جاك روسو دور في كتابه "العقد الاجتماعي" وكانت نظرياته تخدم الديمقراطية ، وروسو يؤمن أن الإنسان يولد حرا ويتم بعد ذلك تقييده بالأغلال السياسية والاجتماعية، وتظل الحرية هي الهدف الأسمى لفكر روسو، مع عدم تنازله عن أفكار أخرى مثل: المساواة والحرية والإخاء، والعدالة الاجتماعية.

ويمكننا الإشارة أيضا إلى أن الراديكالية تفرعت إلى عدة مذاهب، والتي ظهرت تبعا لتوجهات الفلاسفة المختلفة في عملية الإصلاح الجذري.

2_الثورة الفرنسية:

أ- الثورة الفرنسية وعلاقتها بظهور العلوم الاجتماعية:

ثورة (1799- 1789) هي عبارة عن انقلاب سياسي، وثورة شعبية بدأت في فرنسا وكان لها أثر كبير على كل العالم، فهي أول ثورة ليبرالية في التاريخ، ولم يتفق المؤرخين حول الأسباب الحقيقية لقيامها، باعتبار أن هناك من يقول أنها كانت حركة عقلية نشأت عن حركة التنوير في القرن 18، وهناك منهم من يقول أنها كانت ثورة على الطغيان الإقطاعي والظلم والفساد وانتشار أفكار التنوير.

تعتبر الثورة الفرنسية وبرغم إنجازاتها الكثيرة للفرنسيين خاصة وللعالم عامة، أنها من أكثر الثورات دموية في التاريخ وأيضا من أطولها بفرنسا مكنت ظهور المجتمع العصري الحديث البرجوازي الرأسمالي، إن خاصيتها الجوهرية تكمن في تحقيق الوحدة الوطنية بفضل نظام الأسياد و المنظمات الإقطاعية التي كانت تتمتع بامتيازات كبيرة، إن الهدف الأساسي لهذه الثورة هو إلغاء المؤسسات القروسطية في كل مكان (اقتصادية ، تربية، صناعية..)

فطابعها التاريخي يتأكد من خلال تأسيس ديمقراطية ليبرالية، فإنها نموذج كلاسيكي للثورة البرجوازية العالمية.

لقد هدفت الثورة الفرنسية إلى ملكية معتدلة تتدرج ضمن نظرية الحق التاريخي لتلغي الحق الرباني.

إن الثورة الفرنسية كالثورات الأخرى التي سبقتها، تدخل دون منازع في إطار الانتقال من الإقطاعية إلى الرأسمالية الحديثة، أي أن النمط التقليدي إلى العصري للمجتمع، ولكن عكس ما حدث في الثورات الغربية الأخرى التي حققت توازن مرضي بين كل الطبقات ضمن كل المجتمع، و الثورة الفرنسية لم تمكن الاستقرار المجتمعي، وهذا راجع لبعض الأسباب الخاصة بنمط المجتمع الفرنسي. بالتالي فإن العوامل الاجتماعية كانت من بين أبرز الأسباب التي ساعدت على قيام الثورة الفرنسية ،حيث تتجلى هذه العوامل في التفاوت الطبقي الصارخ بين الفئات الاجتماعية، إضافة إلى التهميش والضغوط الاقتصادية الخانقة على الفئة الأكبر من الشعب الفرنسي، وقد كان الجوع هاجسا يوميا في أوضاع حرجة في سنوات الحصاد الفقيرة، حيث كانت أوضاع الأغلبية من الفلاحين الفرنسيين فقراء. بينما كانت البرجوازية المنتجة فكريا واقتصاديا مثقلة بالضرائب بينما كانت الأرسطقراطية بثرائها الفاحش من إنتاج الآخرين ذات نمط حياة باذخ وشره في مجمله.

ثم أن هناك تضارب بين مصالح البرجوازية الطموحة والأرسطقراطية من جهة، والأرسطقراطية والطبقة العاملة من جهة أخرى، والفلاحين والأكليريوس من جهة. هذا قبل أن ينتقل الصراع عامة إلى صراع ثنائي، بعد الثورة الفرنسية وإسقاط نظام لويس السادس عشر ومعه الطبقات التقليدية من الأرسطقراطية وطبقة رجال الدين (الأكليريوس)، ليظهر هذا

الصراع على شكل الاشتراكية والشيوعية التي تمثل طبقتي العمال والفلاحين، والرأسمالية التي تمثل البرجوازية في عالم اليوم، هذه البرجوازية لعبت دورا كبيرا في عصر الأنوار والثورة استعانت بالجيش للسيطرة على الأوضاع، من خلال جنرال ذو أصول إيطالية يدعى "نابليون بونبارت" ، وسيتخذ هذا الصراع بعدا أوربيا وعالميا بعد دخول الثورة الروسية على الخط، من خلال سيطرة الطبقة العاملة.

لقد أعطى المفكرين أهمية كبيرة لهذه الثورة مثل دوطوكفيل، سان سيمون،كونت... وقد كانت التيارات الثلاث في صراع(التيار المحافظ، الليبرالي، الراديكالي)

وكل مفكر كان يحاول إنهاء الثورة حسب التيار الذي ينتمي إليه، وهذه الصراعات الفكرية أدت إلى بلورة السوسيولوجيا في أوربا عامة وفرنسا خاصة.

ب- الأسباب العميقة للثورة الفرنسية:

لم تندلع الثورة الفرنسية دون سبب، فقد كانت هناك عدة أسباب وعوامل عملت على قيامها ومن بينها:

_ تكمن بدون منازع في البقايا الإقطاعية وتناقضات المجتمع القديم،وهذا مثل ثورتي هولندا وانجلترا،ولكن هذا الجانب لا يفسر لنا كل ملامح الثورة الفرنسية، فكانت البرجوازية في فرنسا تتمنى الوصول إلى المصالحة مع الأرستقراطية،و لكن هذه الأخيرة رفضت هذه الفكرة.

_ إن هذا الرفض القاطع ناجم من جهة عن المقاومة الصلبة للنبالة الصغيرة التي كانت تعيش بفضل الجبايات الفلاحية، ومن جهة أخرى عن الإرادة العنيدة والعدوانية التي كانت تميز الفلاحين، فقرر هؤلاء الرفض القاطع لكل البقايا الإقطاعية، فكانت البرجوازية أمام هذا الوضع مضطرة للتحالف مع الجماهير الشعبية التي كانت تحمل القسط الأكبر من ثقل النظام القديم.

_ تبذير الملوك الفرنسيين وتصرفهم بمال الدولة دون وجه حق في تلك المرحلة، وهذا ما كان له الأثر الكبير في ارتباك الاقتصاد الفرنسي وتدهوره، حيث شن لويس الرابع عشر الكثير من الحروب التي كلفت خزينة الدولة أموالا طائلة، ثم ظهر الاضطراب المالي في

فرنسا، وقد اعتبر ذلك مأساة اقتصادية وقد تجلى سوء وضع فرنسا المالي بأعلى مستوياته في النفقات التي اضطرت الحكومة إلى تحصيلها من الشعب.

_ اليقظة الفكرية، حيث طهرت العديد من التوجهات الفكرية التي مهدت الطريق لاندلاع الثورة الفرنسية، وقد تبنى هذه التوجهات مجموعة من المفكرين من أبناء الطبقة الوسطى، وعبروا من خلال توجهاتهم عن آلام الأمة، وآمالها. وصميم قضايا مجتمعهم العميقة. وقد هاجم هؤلاء المفكرون الاستبداد والظلم، وطالبوا بالمساواة، والحرية والإخاء،وسخروا أيضا من تصرفات رجال الدين والكنيسة.

_ الإصلاحات الاقتصادية التي نادى بها العديد من المصلحين الاقتصاديين، حيث نادوا بضرورة إصلاح الوضع الاقتصادي في البلاد، وهذا ما دفع لويس السادس عشر إلى إسناد الشؤون المالية، وإصلاحاتها إلى رجال خبراء لتزويد خزينة الدولة بالأموال، وإصلاح الوضع المالي.

الدرس (4): عبد الرحمان ابن خلدون

1_ عبد الرحمان ابن خلدون (من الفلسفة المثالية إلى الفلسفة الاجتماعية)

2_ قواعد المنهج عند ابن خلدون

أ_ الشك والتمحيص

ب_ الواقعية الاجتماعية

3_ مراحل البحث في الظواهر الاجتماعية عند ابن خلدون

4_التقليد والقهر الاجتماعي عند ابن خلدون

5_نشأة العمران البشري

6_مفهوم العصبية ونظرية نشأة الدولة

خلاصة

1_ عبد الرحمان ابن خلدون: (من الفلسفة المثالية إلى الفلسفة الاجتماعية)

لكي نتعرف على علم الاجتماع الحديث يجدر بنا الانطلاق من الحلقات الأولى من تطوره، أو على الأقل حلقة البشرية لعالم مستقل وهو "ابن خلدون" الذي يعرف نفسه فيقول: " عبد الرحمان بن محمد بن خلدون و قد حظي بعدة ألقاب منها: قاضي القضاة، ولي الدين أبوزيد...

ولد في تونس 1332م،وتوفي سنة 1406م(808،732هـ). نشأت أسرته بمدينة "قرمونة" بالأندلس التي استقر بها جدهم "خالد بن عثمان"، ثم نزحوا منها بعد ذلك إلى "إشبيلية" وبدأ نجم أسرته يسطع في عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان الأموي، وذلك أنه في أثناء ولاية هذا الأمير اضطربت الأندلس وكانت "إشبيلية" موطن ابن خلدون في مقدمة المناطق الثائرة، واشترك في قيادة الثورة ولد من أحفاد خلدون وهو: كريب بن عثمان بن خلدون، الذي استبد بالأمر واستقل بإمارة إشبيلية، وفي كنف هذه الأسرة ولد عبد الرحمان ابن خلدون، ولما بلغ سن التعلم بدأ في حفظ القرءان وتجويده، ودرس العلوم الشرعية واللسانية والمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية، بعدما بلغ الثامنة عشرة من عمره انقطع عن التعليم بسبب انتشار مرض الطاعون آنذاك، حيث هاجر معظم العلماء والأدباء، فأخذ يتطلع إلى الوظائف العامة والسير في الطريق الذي سار عليه أجداده، بالتالي وصل إلى أعلى المناصب في الحكم ، في عهود الكثير من الملوك في تلك المرحلة. تولى ابن خلدون كتابة السير، وخطة المظالم، وصار وزيرا وحاجبا وسفيرا وقاضيا وخطيبا، ومن خلال كل هذا نستنتج بعض المعلومات التي هي:

_ كان ابن خلدون يركز فيما هو كائن بالفعل في الواقع الاجتماعي، وليس ما يجب أن يكون عليه الواقع.

_تميز فكر ابن خلدون بالحركة والتطور والسفر، هو تطور يرفض النظرة الثابتة للأشياء، ويربط الأحداث بالقوانين التاريخية، لأن من أهم أهدافه اقتداء الأجيال اللاحقة بالسابقة لكي تتعلم من سنن الحياة والكون.

_ كانت أسرته قريبة من الحكم والسلطان والسياسة، وكانت تهتم بالبحث والعلم أيضا.

_ بسبب هذه البيئة التي ترعرع فيها، أصبح ابن خلدون محبا للمناصب والجاه من جهة، ومحبا للعلم من جهة أخرى، وفي كل مرة كانت تتغلب إحدى الجهتين عن الأخرى، ثم أنه كان رجلا يميل إلى المغامرات السياسية، حيث كان يبادر في الانضواء تحت ولاء ذوي السلطان، فكانت هذه المغامرات السياسة ترفعه أحيانا إلى أعلى المناصب مرات ، ومرات أخرى كانت تلقيه خلف قضبان السجون.

أما بالنسبة عن الملامح الاجتماعية والظروف المجتمعية التي دفعت به إلى الكتابة فقد كانت تشير إلى وجود نمط إقطاعي في مرحلة انتقالية محتفظة ببقايا من النظام العشائري المتفسخ حينها. وقد كان النظام الإقطاعي ينمو متوجها نحو التأثير سلبا في مركزية الدولة، ومعمقا من التناقضات الاجتماعية خاصة في الحواضر والمدن، هذا وقد عرفت التجارة أيضا نوعا من الانتعاش في المدن الساحلية المطلة على البحر المتوسط، وكل هذه الظروف والملامح الاجتماعية قد أثرت في فكره، باعتبارها مسرحا لملاحظاته ومقارناته وكل استنتاجاته.

امتازت حياته إذن باستمرار التفكير الفلسفي المتتالي وهو دراسة المجتمع في ظواهره وبيئته و العلاقات بين أفراده دراسة علمية وصفية تحليلية من أجل الوصول إلى الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها هذه الظواهر دراسة تعتمد على منهج علمي، يتلخص في الملاحظة ثم التجربة فالمقارنة.

لقد ألف ابن خلدون كتابا ضخما في التاريخ وهو : " كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر" مهد له بمقدمة في فضل التاريخ وتحقيق مذاهبه و إظهار ما يعترض المؤرخين من المغالط والأوهام وذكر أسبابها، اطلع ابن خلدون على ما كتبه مؤرخون أمثال:" محمد ابن جرير الطبري،في كتابه الأمم والملوك في التاريخ" و " أحمد بن عبد القادر المعروف بالمغريزي" وكتاب:"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" إلى غيرهم.

إن التركيز على إسهاماته بمثابة إبراز دور مفكرين عرب في بناء صرح العلم في كافة العالم، ثم أن التسليم بصحة ما كتب والاعتراف بدوره الكبير والأساسي في بناء علم الاجتماع، لا ينكر الدعوة إلى إنشاء هذا العلم الاجتماعي الهام.

– كان ابن خلدون يعرف معرفة أكيدة أنه قد ابتدع علما جديدا لم يسبقه إليه أحد، وانه حدد لهذا العلم موضوعه، وهذه ميزة لم تكن عند من سبقه وهو يقول في هذا المعنى:«...وكأن هذا العلم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري ،والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال، ولم أقف لهذا الكلام في منحاه لأحد من الخليقة...أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض و استوفوه ، ولم يصل إلينا». وبهذا يعد ابن خلدون أول من نادى بضرورة إنشاء علم وهو ما أسماه ب "علم العمران البشري"، والذي يعني لديه علم الاجتماع الإنساني وظواهره ، ويصوغ موضوع هذا العلم من خلال قوله أن الاجتماع الإنساني ضروري، فالإنسان مدني بطبعه ولابد له من الاجتماع الذي هو المدينة في إصلاحهم، وهذا هو معنى العمران عند ابن خلدون.

من أبرز النقاط عنده هي النظر إلى المجتمع نظرة شمولية والتركيز على ضرورته، فهو لم يدرس الاجتماع الإنساني إلا من أجل بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال خطوة بعد خطوة، وهذا يعني أن التركيب الجدلي المعقد من الأحوال في العمران هو المجال المتميز الذي يسعى ابن خلدون لكشفه وتهيئة المستلزمات المعرفية له. يرى ابن خلدون أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحقيق حاجاته لذلك فإن تحصيل الحاجة يعد الحجر الزاوية في الاجتماع الإنساني وضرورته، ثم يفسر ويقول أن الفرد الواحد من البشر غير مستقل في تحصيل حاجاته في معاشه، فالناس متعاونون جميعهم في عمرانهم. وهذا يعني أن الحاجة والعمل مقولتان أساسيتان للوجود الإنساني ، ومن غيرهما لا يمكن أن يوجد المجتمع البشري.

تتضح النظرة الخلدونية للمجتمع وظاهراته من توجهه العام الذي أكد في مقدمته كثيرا أن العمران البشري حقيقة طبيعية، لديها علم خاص بها لا يتجرد عن المادة لا في الذهن ولا في الخارج. كما يعد تغير العمران البشري حقيقة أساسية في نظر ابن خلدون إلى العمران البشري طبعا، حيث أن أحوال العالم والأمم وعوائدها ونحلها لا تدوم على نفس الوتيرة دائما،

بل هي تختلف حسب الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، ويرى أن السبب الشائع في تبدل الأحوال هو أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه.

إن ابن خلدون يكاد يركز في فهمه وتفسيره لتطور العمران وتغيره على عدة عوامل أساسية ترتبط بالصبية التي لا تلعب دورا أساسيا في بناء العمران واستمراره، وفي هذا يرى أن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للمتكون والمزاج في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر إذ لابد من أن تغلب إحداها حتى يتم التكوين. كأن الصراع القائم على التناقض أساس في تكوين العمران البشري واستمراره ، كما تلعب السلطة السياسية المتمثلة في شخص الحاكم دورا في الحفاظ على العمران وتغييره .

وتتجلى عبقريته ابن خلدون في انه لم يضع علم الاجتماع الإنساني فقط بل إنه ابتدع لهذا العلم قواعد منهج أصيلة،وكان يفعل ذلك بحس منطقي وعقلية علمية كبيره وهو بعد ابتكاره للعلم الجديد يوضح طريقة هذا العلم ومناهجه وهو يقول:«... و بعد أن استوفيت علاجه، و أنرت مشكلاته و أوضحت بين العلوم طريقه ومناهجه».

2_قواعد المنهج عند ابن خلدون: تتمثل فيما يلي:

أ- الشك والتمحيص: حيث يقول: " فلا تثق بما يلقى إليك وتأمل الأخبار و أعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه".حيث يؤكد هنا ابن خلدون أنه على الباحث ألا يقبل أي شيء على أنه حقيقة إلا بعد أن يتأكد بوضوح عنه. بمعنى ألا يجب أن يتأثر بآراء الآخرين وألا يتخذ الأساطير والآراء السابقة التي لم يتم التأكد منها أساسا في دراسته، لهذا كان ابن خلدون يقرأ لمفكري عصره ومن سبقه بقصد المحاورة والكشف، فيستشهد ويشكك وينتقد، ثم ينتقي ويصحح ويقارن حتى يصل إلى استنتاج في النهاية. فالطريق الصحيح للتمييز عنده بين الصدق والكذب هو المشاهدة المباشرة والتعرف على الجزئيات حتى نتمكن من الكشف عن خصائصها الذاتية وما بينها من اختلاف.

ب- الواقعية الاجتماعية: التي تتطلب عند ابن خلدون النظر إلى الحقائق ومحاولة الكشف عن طبيعتها، وهو يرى أن الإنسان بإمكانه أن يتدرب على هذه الواقعية بكل موضوعية. ومن هنا تظهر أهمية وصول علم العمران إلى صياغة قوانين تحكمه، فالوصول إلى هذه

القوانين وظيفة من وظائف العلم، وفي هذا المعنى يرى أن الظواهر العمرانية ليست مختلفة عن بقية الظواهر الطبيعية الأخرى كيفما كانت. فهي محكومة في مختلف نواحيها بقوانين طبيعية تشبه القوانين التي تحكم ما عداها من ظاهرات الكون.

لقد قسم ابن خلدون هذا العلم إلى:

_ العمران البشري: أي دراسة المجتمع ككل(طبيعة الاجتماع، اثر البيئة...)
حيث لا يمكن أن يتكون مجتمع بشري بدون مارة، فالعمران أساس تكون المجتمع الإنساني، وأساس استقراره، وهذا بدوره يؤدي إلى السعي للكسب والحصول على المعارف وأنواع العلوم والتمدن والتحضر.

_ العمران البدوي: وقد اعتبره ابن خلدون دراسة خاصة بالجماعات الاجتماعية التي تتجمع وتتعاون في تلبية حاجاتهم الاجتماعية اليومية ومعاشهم وعمرانهم، من المأكل والمسكن بالقدر الذي يحفظ لهم الحياة الكريمة من أجل راحة البال. بالتالي يمكن اعتبار العمران البدوي أنه أسلوب إنتاج أولي يقتصر على مسائل أساسية وضرورية، وتظهر هنا العصبية القبلية في عدم تقبل أهل البدو اختلاط الأنساب مع غيرهم، حتى يتم الحفاظ على نقاوة أنسابهم وأعراقهم.

_ العمران السياسي: الذي يهتم بشؤون السياسة ونظام الحكم وهو فرع من علم الاجتماع، فالسياسة عند ابن خلدون أساسية جدا في تنظيم العمران حسب ما يقوله، وهو يميز بين أنواع السياسات حسب طبيعة الأسس التي تستند إليها والمصالح التي تقوم على رعايتها ما بين سياسية طبيعية وسياسية عقلية وسياسية شرعية.

_ العمران الحضري: ويتعرض فيه المختص لنشأة المدن.فقد ذكر فيما يخص الحضر قبل الآن وعرفهم بأنهم جماعة من الناس الذين اتسعت أحوالهم وحصل لهم ما فوق الحاجة التي يرجونها من الغنى والرفاهية، عكس ما ذكره عن البدو حيث في الحضر تتلاشى العصبية الخاصة وعوامل النسب واختلاطه، ويعتمد الحاكم هنا على ما يمكن تسميته بعصبيات متعددة حتى تتوسع قاعدة الملك فيصبح أقوى و أغنى.

_ العمران الاقتصادي: حيث يرى ابن خلدون أن المجتمع هو ظاهرة طبيعية أدى إليها عمران التكافل الاقتصادي وتقسيم العمل الذي احتل عنده مكانا بارزا فهو يرى أن الفرد من البشر غير مستقل لتحصيل حاجات معاشه إنما البشر متعاونون معا لأجل ذلك إشارة إلى أهمية تقسيم العمل لأن الفرد وحده ليس قادرا على أن يشبع كل حاجاته بمفرده.

و- العمران الفكري: الذي يبحث في العلوم وطرق التعليم.باعتبار أن أكثر تجليات الفكر العمراني هو وضوح تراتبية العمران طبقا للاحتياجات، والتي تؤدي إلى نسق عمراني واضح. لقد كان الوضوح من سمات ابن خلدون الفكرية،وكان الإفصاح عن تفاصيل العمليات الفكرية.

3_ مراحل البحث في الظواهر الاجتماعية عند ابن خلدون:

ابن خلدون في بحثه للظواهر الاجتماعية يجتاز مرحلتين:

أولا: تتمثل في ملاحظات حسية وتاريخية للظواهر الاجتماعية،وبعبارة أخرى تتمثل في جمع المواد الأولية (من معطيات ومعلومات) لموضوع بحثه من المشاهدات ومن بطون التاريخ.
وقد ركز على أهمية الملاحظة التي تأتي علميتها من مسلكين أساسيين:

_ ويتمثل في القيام بملاحظات حسية وتاريخية قوامها جمع المواد الأولية لموضوع البحث من المشاهدات ومن بطون التاريخ.

_ يتمثل في القيام بعمليات عقلية يجريها على هذه المواد الأولية ويصل بفضلها إلى الغرض الذي قصد إليه من هذا العلم وهو الكشف عما يحكم الظاهرات العمرانية من فوانين.

ثانيا: تتمثل في عمليات عقلية يجريها الباحث أو الدارس، على هذه المعطيات أو البيانات لكي يصل إلى الغرض الذي قصده من هذا العلم وهو الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين.

4_ التقليد و القهر الاجتماعي عند ابن خلدون:

يعتقد الكثيرون أن إميل دوركايم هو من سبق في اعتباره أن القهر الاجتماعي من أهم ميزات الظاهرة الاجتماعية، غير أن ابن خلدون أظهر مثل هذه الأفكار في عدة فصول من مقدمته. و في ذلك يقول:«... النفس تعتقد أبدا في غالبها وما انقادت إليه،و المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده،أنظر ذلك في تأثير الآباء على أبنائهم.

5_ نشأة العمران البشري:

يرى ابن خلدون أن الاجتماع الإنساني ضروري لاختيار للإنسان منه إن هو يؤكد أن الإنسان حيوان اجتماعي بالطبع وهو أيضا حيوان عدواني ويحدد لهذه الصفة سببين:

أ- اضطرار الإنسان إلى التعاون مع بني جنسه من أجل الحصول على ما يلزمه من ضروريات الحياة. كما انه ضروري في دراسة الحالة الاجتماعية أو التقسيم الطبقي والحركات الاجتماعية وكذا التغيير الاجتماعي، فضلا عن الاضطراب الاجتماعي في صورة الجريمة والانحراف وحتى الثورة. كما يبحث في بنية المجموعات والمنظمات والمجتمعات، وكيفية تفاعل الناس في هذه السياقات.

ب – اضطرار الإنسان إلى التعاون مع أبناء جنسه على دفع مخاطر الحيوانات.وهذا يدخل في إطار حاجة الناس العيش في جماعات اجتماعية من أجل بناء تكتلات بشرية تعمل على تحقيق كل ضروريات الحياة اليومية التي تكفل لهم الاستمرار بمواجهة مخاطر الطبيعة المختلفة في شكل جماعي حتى يمتلك الفرد قوة أكبر وحماية أكثر في وسط الجماعة. وبعد ان يقرر ابن خلدون ضرورة الاجتماع وبشرحها من الناحية الاقتصادية والدفاعية يتحدث عن ضرورة قيام السلطة حتى يستقيم هذا الاجتماع و يضمن له الاستمرار ويسوده التناسق والتعاون بين البشر.

6_ مفهوم العصبية ونظرية نشأة الدولة:

أ_ العصبية ومفهومها:

العصبية رباط اجتماعي وعلى أساسها يفسر ابن خلدون نشوء الدول و انهيارها والعلاقات التي تقوم بين البشر ونوع المجتمع و هي القوة المعنوية التي تنشأ عن روابط القربى بين أفراد العشيرة وتستند العصبية إلى وحدة النسب الذي يؤدي إلى الالتحام الذي يظهر في الدفاع ، وهذا يعني أن العصبية الخلدونية هي رابطة تعمل على الجمع بين أفراد الجماعة الواحدة حيث ينتمون إلى بعضهم عن طريق صلة الدم أو الجوار وهي رابطة تظهر أكثر في أوقات الشدة التي تمر بها الجماعة، باعتبار أن صلة الرحم أمر طبيعي عند البشر، كما لا يخفى علينا أن العصبية عند ابن خلدون هي السبب القوي في قيام الملك، لأنها من أهم الركائز السياسية، خاصة في المجتمع القبلي الذي تتحكم فيه معايير القوة والسيطرة والتغلب، باعتبار أهنها عوامل لا يمكن بروزها إلا إذا وجدت هناك عصبية قوية تمنح معنى التلاحم والتعاون والتناصر، فكل شيء في الدولة بالنسبة لابن خلدون يكون متعلقا بالعصبية وحالتها والبناء الرئيسي للدولة واتساع رقعتها مع قوة السلطة، وهكذا يتم إنشاء الدولة بالنسبة لابن خلدون.ف:

« من لا عصبية له لا يستطيع سكن البادية، و المنفرد فينسبه يعيش ذليلا» ،كما أنه يرى الغلبة والرئاسة لا تكون إلا في العصبية إذ تدفع أهل النسب الواحد إلى الرئاسة، فإذا زالت العصبية زالت الغلبة،ويبرز ابن خلدون قيمة العصبية فيجعلها أساس قيام الدولة لأن هذه الأخيرة لا تنظم إلا بوازع (السلطة) و الوازع لا يكون إلا بعصبية قوته، فإن ضعفت العصبية زالت الدولة.

إن العصبية بالنسبة للمفهوم الخلدوني هي ذلك الشعور الداخلي الذي يربط بين أفراد القبيلة الواحدة خاصة عندما تتعرض قبيلتهم للعدوان، أو تعرض أحد أفراد القبيلة لأي نوع من أنواع العدوان أو الظلم والتجاوز من طرف أشخاص لا ينتمون إلى قبيلتهم، حيث يتولد لدى الجماعة ذاك الشعور بالتلاحم والتكاتف والتعاون من أجل مساندة هذا الشخص المعتدى عليه أو قبيلتهم، وتقوى هذه الرابطة فقط في حالة وجود قائد للجماعة.

ب_ نظرية نشأة الدولة:

بالنسبة لابن خلدون فإن الحاجة الإنسانية والضرورية للطعام والملبس والمأوى وحتى حماية النفس والدفاع عنها، هي التي تدفعه إلى الانتظام في مجتمع إنساني، فالإنسان لا يستطيع أن يسد حاجاته للغذاء بمفرده، لأن ذلك يتطلب أعمالا كثيرة لا يستطيع أن يقوم بها لوحده دون الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، حيث يتوجب عليه التعاون معهم. وقد نظر ابن خلدون للدولة على أنها كائن حي يولد وينمو، ثم يهرم ليفنى، فللدولة عنده عمرا مثلها مثل أي كائن حي تماما، حيث حدد عمر الدولة بمائة وعشرون عاما، وغالبا لا تتجاوز الدول هذا العمر إلا لأسباب شاذة في كثير من الأحيان، بالتالي بين ابن خلدون أن متوسط عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل، ويؤيد ذلك في حكمة التيه الذي وقع لبني إسرائيل في أربعين سنة، والمقصود بالأربعين سنة فيه فناء الجيل لإحياء ونشأة جيل آخر لم يعهد الذل ولا عرفه أساسا.

يرى ابن خلدون أن الدولة لا تقوم من غير ركيزتين أساسيتين وهما:

_ العصبية والتي كثيرا ما تتجلى في الجند

_ المال الذي هو قوام الجند وما يحتاج إليه الملك من الأحوال.

إذا حاولنا التطرق إلى الدولة في بدايتها فإنه سيظهر لنا جليا أنها تكون بدوية، باعتبار أن الإنفاق يكون معقولا، إلى أن يكون هناك نوعا من الإسراف، فحين يكثر المال ينتشر ويعم الترف في الدولة وهذا ما سيؤدي لاحقا إلى انهيارها، حيث نفقات الحاكم والدولة تتضاعف، فينتشر الإسراف بين رعايا الدولة فتمتد أيديهم بذلك إلى أموال الدولة من جانب، ومن جانب آخر يبدأ الجند في التعالي والتجاسر على السلطة، إلى أن يضطر الحاكم إلى مضاعفة الضرائب، وهكذا سيكون مضطرا أيضا الاستغناء عن عدد كبير من الجند من أجل توفير مرتباتهم، بالتالي ستضعف حمايته وتتجاسر عليه الدول المتربصة والقبائل التي ما تزال محتفظة بعصبيتها وقوتها.

يجعل ابن خلدون للدولة عمرا طبيعيا مثل الأشخاص،و يجعل هذا مساويا لعمر 4 أجيال (لكل جيل 30 سنة).

1- حيث أن الجيل الأول يحافظ على خلق البداوة وخشونتها متمسكا بصورة العصبية ومحافظ عليها. باعتبار أنه يعيش في الريف و البوادي حياة البداوة والخشونة كما سلفنا، بعيدة كلية عن الترف، وهي مرحلة تتميز بقوة العصبية والبسالة والافتراس، أي هناك نوعا من العنف يميزها والاشتراك في المجد، ويكون لديهم نوعا من الرهبة ثم أنهم دائما هم الغالبون.

2- في الجيل الثاني يتحول أفراد المجتمع الذين كونوا دولة بتماسكهم من التقشف و الاكتفاء بالضروري إلى الترف، ومن الاشتراك بالمجد إلى الإنفراد ومن الاعتزاز بالانتماء إلى الانسلاخ. فهذا الجيل يتحقق على يديه الملك ويؤسس الدولة، وفيه ينتقل من البداوة إلى الحضارة، ومن سكن البوادي إلى المدن والتحضر، ومن الاشتراك بالمجد إلى الإنفراد به، مع تكاسل البقية في الظفر به، ومن عزة الاستطالة إلى ذل الاستكانة، فتنكسر فيه صورة العصبية نوعا ما، ويعيش على ذكريات الجيل الأول أهل البداوة؟

3- أما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة و يفقدون العصبية و يصبحون غير مبالين بما قد يلحقهم من هزائم لجيشهم. هذا الجيل ينسى فيه الناس عهد الخشونة والبداوة كلية، فيفقدون بذلك حلاوة العز والعصبية، ويبلغ فيهم الترف مبلغه فيصيرون عالة على الدولة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، وتسقط العصبية تماما وتختفي، فيضطر صاحب الدولة إلى طلب النجدة.

4- الجيل الرابع: تتقرض الدولة بحلول عصبية جديدة و بغلبة الغير، حيث لا يكاد يذكر بتاتا لأنه فقد الاحترام والسلطة، فيقول ابن خلدون:

"المجد و الحسب إنما هو أربعة أباء وهم: باني المجد- المباشر المقلد للمباشر والهادم".

خلاصة:

نستخلص مما سبق أن ابن خلدون قد حدد موضوع العلم بدراسة المجتمع الإنساني، ورأى أن هذا الموضوع يتحدد بما هو ضروري، وما هو اجتماعي، وأن هذا المجتمع ليس ثابتا في أحواله بل هو دينامكي متغير، يلعب الصراع بين العصبيات دورا بارزا في تغييره وتنميته، وحدد التوجه المنهجي لهذا العلم بالملاحظة والتحليل والتفسير في إطار تاريخي حتى يمكن الوصول إلى القوانين التي تحكم هذا المجتمع.

تألق ابن خلدون نظريا وعلميا، عندما ركز على هذه الأبعاد والعمليات المهمة جدا، حيث كانت وما تزال من بين أهم ما يميز علم الاجتماع عن غيره من علوم الإنسان والمجتمع. غير أن ما هو مثير للانتباه انه لا احد حاول سلك طريقه هذا من اجل تطويره وتنميته، ولو حدث ذلك من بين العلماء العرب لكان اليوم لعلم الاجتماع العربي شأنا كبيرا في تاريخ العلم.

أهم إسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع:

_ أسس علم العمران البشري والذي عرف بعد ذلك باسم علم الاجتماع ليتمكن بعد ذلك من فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية الماضية والكشف عن قوانينها.

_ يرى أن المعرفة تتحقق عن طريق الاستقراء الفطري الذي هو في حقيقته استقراء علمي تنقصه التجارب المعملية و وسائل البحث الحديثة التي استعان ابن خلدون عوضا عنها بالحس والمنطق.

_ أكد ابن خلدون بصلة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى، وأكد على صلة علم العمران البشري بالعلوم الاجتماعية التي تبحث في الظواهر المجتمعية.

_أكد أيضا على أهمية البيئة والعوامل الاقتصادية والجغرافية في تفسير وفهم الظواهر الاجتماعية.

_ يرى ابن خلدون أن المجتمعات الإنسانية مرت بثلاث مراحل وهي:

(النشأة، النضج والاكتمال، الهرم والشيخوخة حيث يفنى المجتمع ويقزم على أنقاضه مجتمع جديد).

وقسم ابن خلدون المجتمع إلى قسمين:

مجتمعات بدوية تتميز بالخشونة والتوحش والبساطة والكرم والشجاعة، ومجتمعات حضرية وهم سكان المدن الذين يتميزون بالترف والرقة والتعقيد والتخصص والمصلحة.

_ يؤكد ابن خلدون على تأثير البيئة الجغرافية على الحياة الاجتماعية فهي تشكل نوع المجتمع و نوع الحرفة هل هي زراعية أم صناعية أم صيد أو تجارة، بل وتؤثر على أخلاق الناس وطباعهم وبيوتهم وأزيائهم.

_ ركز ابن خلدون على السلطة وأبرز أهميتها في الحفاظ على الدولة والمجتمع، وأشار أن السلطة تتولد من القوة وهي تتسم بالعصبية كما هو موجود في المجتمعات البدوية الشجاعة الصبورة.

_ أكد ابن خلدون أن الإنسان اجتماعي بطبيعته وفطرته فهو في حاجة إلى المجتمع ليشبع احتياجاته من قوت وحماية ودفاع.

الدرس (5): كارل ماركس

1_ مدخل الى الفكر الماركسي

2_ كارل ماركس (1883- 1818)

3_ المادية الجدلية عند كارل ماركس

4_ تقسيم التاريخ عند كارل ماركس

5_ الماركسية الجديدة

6_ السلطة في نظرية الصراع الجديدة:

7_ نقد النظرية الماركسية

خلاصة

كارل ماركس والفكر الاجتماعي:

1_ مدخل إلى الفكر الماركسي:

لقد تطورت نظرية الصراع كرد فعل للبنائية الوظيفية، وذلك كان نتيجة لمختلف الانتقادات التي وجهت لتلك النظرية، لكن كان من المهم أن نشير أيضا إلى أن نظرية الصراع لها جذورا أخرى تتمثل في النظرية الماركسية وآخرون.

في أواخر الخمسينيات إلى الستينيات من القرن الماضي كانت نظرية الصراع بمثابة البديل للنظرية الوظيفية البنائية، غير أنها تراجعت في السنوات الأخيرة نتيجة لظهور عدد من النظريات الماركسية الجديدة، وتتمثل المشكلة الأساسية لنظرية الصراع أنها لم تنجح أبدا في الانفصال بشكل يكفي من جذورها البنائية الوظيفية، لذلك فإنها نوع من البنائية الوظيفية المقلوبة إن صح التعبير، أكثر من كونها نظرية نقدية للمجتمع.

_ فريديريك هيجل(1770-1831):

في الواقع لا يمكننا الحديث عن الفكر الماركسي ما لم نتطرق إلى الفكر الهيجلي أولا، لأننا مجبرين على العودة إلى تلك الثورة الكبرى التي صنعها هيجل في الفكر الإنساني كله، حيث أنه كان جدا فاصلا بين عهدين من التفكير و الذي امتد أوله من أرسطو إلى هيجل، و ثانيه يستمر فيما بعد هيجل. و هذه الأهمية تظهر في ثلاث نقاط أساسية و هي:

- تعتبر فلسفته أقرب الفلسفات إلى الواقع الإنساني بعلاقاته ومجتمعه وتاريخه، وكانت نظرته إلى المجتمع نقطة انطلاقة في نظرته إلى الوجود و المعرفة و المنطق.

- رأى المجتمع خاصة و الكون عامة عبارة عن حركة، لا ثبات فيها ولا استقرار،وعلى ذلك فإن الحقيقة عنده لا توجد في مكان معين و لا في زمان معين، بل هي في التغير المستمر،ولمعرفتها لابد من استعمال المنطق التاريخي (السيرورة التاريخية) الذي يتيح لنا الوصول إلى الحقيقة،من حيث هي صيرورة، لا من حيث الوجود فقط.

- جعل هذا التغير نتيجة وجود وولادة ونمو وصراع فوق التناقض و بذلك فهو يرفض مبدأ الانسجام و التناسق في الكون الذي يعبر عن موقف القبول بالأمر الواقع و الاستسلام له.

وتكمن أهمية هذه النقاط الثلاث في كونها ربطت بين الفكر الفلسفي وواقع المجتمع، كما أنها ركزت النظر على حقيقة المجتمع الإنساني،من حيث هو حالة تغير مستمر نتيجة لقوى التناقض فيه، فكانت فلسفته بذلك أكثر المذاهب إدراكا لحقيقة التناقضات التي عرفها المجتمع الأوربي في أواخر القرن 18،ومطلع القرن 19 و أكثرها رفضا للواقع القائم، كما أن فلسفة هيجل كانت أكثر إدراكا لاحتمالات التغير في المستقبل.

2_ كارل ماركس (1818-1883):

قبل ماركس من فكر هيجل الجدلية (صراع المتناقضات) الذي تقوم عليه الحركة التاريخية للمجتمع، واقترب كثيرا في ماديته التاريخية من تفسير هيجل الجدلي.

- اشتغل ماركس أستاذا للفلسفة كما اشتغل صحافيا، عاش متنقلا بين ألمانيا و فرنسا و انجلترا، تأثر بالفكر الاشتراكي الفرنسي (سان سيمون،Sain simon)

- اهتم ماركس بدراسة الأوضاع و الظروف السائدة ببريطانيا في النصف الأول من القرن 19،واعتبرها نموذجا للبلاد المصنعة،كما اهتم بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، في غرب أوربا و في بقاع أخرى من العالم، ثم وضع نموذجا عاما لتطور الإنسانية.

تساءل ماركس عن القوى الدافعة للتغير واستطاع من خلال دراسته لفلسفة " هيجل" أن يقتنع بالمنطق الجدلي، وهو المنطق الذي يدرس الأشياء كحقائق و لكن في حالة حركة دائمة، و غير مستقرة، فكل إثبات لحقيقة معينة يتضمن في نفس الوقت نفيا لهذه الحقيقة،وهذا النفي يحتوي على إثبات ،ومن النفي ولإثبات يتكون تركيب جديد، يعتبر جمعا بين النقيضين وهو يقربنا من الحقيقة (المؤقتة) لأن الحقيقة الجديدة سوف تتغير بدورها، وهكذا يكون التغير تصاعديا، فيستمر التطور ويقترب تاريخ الإنسانية من الكمال، وكان الخلاف بين فكر ماركس وفكر هيجل هو أن هذا الأخير (هيجل) كان فيلسوفا يطبق المنطق الجدلي(التغيري) على الأفكار بينما "ماركس" ينبذ ويرفض هذا الفكر الذي اعتبره مثاليا و أخذ بالمادية.

3 _ المادية الجدلية عند كارل ماركس*:

لقد أسس ماركس فلسفة جديدة التي تعرف بالمادية الجدلية التي تفسر أشكال الحكم والاقتصاد والنظم السياسية التي انتقدها واعتبرها سيطرة واستغلال بني على الصراع الذي تميز به تاريخ البشرية (المكتوب) ، لذلك يعتبر الفيلسوف الذي أنزل الفلسفة من عالم الأفكار إلى عالم الواقع المادي، المتمثل في الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية

– رأى ماركس أن الفلاسفة قد حاولوا تفسير العالم تفسيرا فكريا و تأمليا،واختلفوا فيما وصلوا إليه من نتائج و فيما خرجوا به من نظريات ومذاهب ووجدوا أن الوقت قد حان لتغيير المجتمع، بدلا من محاولة تفسيره،واعتبر هذا الاتجاه نفسه إتجاها ثوريا. استند ماركس في دراسته لكل من:

أ– الفلسفة الألمانية: خاصة فلسفة هيجل.

ب– أراء الاشتراكيين: والتي ظهرت في القرن 16،خاصة عند سان سيمون.

ج– استند إلى أبحاث علماء الاقتصاد الإنجليز حيث أنه أخذ من الاشتراكية الفرنسية الفكرة القائلة بمرور العالم بفترة انتقالية ثورية و أخذ من (ريكاردو وادم سميث)

د– رجال الاقتصاد ان القوانين الاقتصادية هي التي تتحكم في المجتمع وأنها مستقلة عن كل عامل.

تختلف فلسفة ماركس عن فلسفة هيجل، ان فلسفة هذا الأخير عقلية خالصة ولكن الماركسية تستند إليها في منهجها الذي يسلم بان الفكر متناقض،وهذا التناقض هو أساس حركة التغير في المجتمع الذي يتجدد باستمرار،وذلك هو الجدل أي صراع الأضداد الذي ينتج عنه جديد،وتغير منافي لما سبقه.

– وجد ماركس أن تفسير الواقع يتم طبقا للمنهج الجدلي، ووجد أن جميع الأشياء تسير في سلك تطور، يعتمد على قوى متعارضة ومتناقضة ولذلك فإن تاريخ البشرية هو تاريخ

*. غربي علي، مرجع سبق ذكره، ص24.

الصراع بين المتناقضات وهو بذلك صراع نتج ماديا ، أي اقتصاديا و ليس فكريا،وما دامت المادة هي مبدأ الكل فإن تطور هذه المادة هو الذي يتحكم في مصير العالم.

– إن تطور وسائل الانتاج هو أساس التطور و التغير في المجتمعات، فالإنسان ينفق وقته في العمل و يستعين في ذلك بأدوات خاصة،وكلما تطورت هذه الأدوات تعددت العلاقات الموجودة بين الناس ونتج عن ذلك اختلاف العلاقات الاجتماعية،وكل ذلك خاضع للعوامل الاقتصادية، فطاحونة اليد تصور لنا المجتمع الإقطاعي، بينما طاحونة البطارية تصور المجتمع الرأسمالي الصناعي.

4_ تقسيم التاريخ عند كارل ماركس:

يقسم ماركس التاريخ إلى 5 أقسام مرتبطة بعلاقات الإنتاج والتي هي:

أ– الجماعة البدائية:

التي تمثل أدوات الإنتاج فيها أبسط صورة من صور الأدوات في المساعدة للقوة العضلية للإنسان،أن الأدوات الحجرية، و القوس و السهم، وهذه لا تسمح للإنسان أن يكافح بمفرده قوى الطبيعة، لذلك فإن الناس يقومون بجمع ما يحتاجونه لحياتهم،جماعيا وتكون الملكية كذلك جماعية، أي أن المجتمع في هذه الحالة يكون خال من الطبقات ومن التباين الطبقي.

ب– و في النظام العبودي:

(المجتمع العبودي) فإن وسائل الإنتاج تصبح أدوات معدنية تسمح باستثمار الأرض،وتصبح الملكية ذات قيمة (الأرض و الأدوات) إذ يبدأ الغني(المالك) في بسط سلطته و سيطرته على الذين لا يملكون، فيتجهون لخدمته كعبيد مما سيزيد في ثروته و في تبعيتهم له.

ج– طور الإقطاع:

حيث أن الإقطاعي يملك وسائل الإنتاج خاصة الأرض حيث يكون الفلاحون والذين يسمون رقيق الأرض يعملون بمقابل،وهو منتوج معين يدفعه لهما الإقطاعي،وقد وضع الإقطاعيون النظم والأجهزة لحماية مصالحهم.

د- ظهور المصانع:

من نتائج التقدم العلمي والصناعي، حيث ظهرت المصانع في المدن غير الخاضعة لسيطرة الإقطاعيين، والتي جلبت الفلاحيين من عمل الأرض بالتالي ظهر نظام إنتاج اخر و هو الرأسمالية الصناعية،فوقع تحالف بين الطبقة الرأسمالية و بقية الطوائف الاجتماعية الأخرى ضد الإقطاع، مما انتج النظام البرجوازي، فحل هذا النظام الجديد محل النظام القديم و السبب هو تغير وسائل الإنتاج،و ظهرت طبقتان أساسيتان هما، الطبقة البرجوازية (الرأسمالية) وطبقة الكادحين (وهم العمال). يقول كارل ماركس:« في الإنتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس،نراهم يقومون بعلاقات مستقلة عن إرادتهم، وعلاقات الإنتاج تطابق مرحلة محدودة من تطور وسائل الإنتاج، وجميع هذه العلاقات الإنتاجية هي ما يتكون منه البناء الاقتصادي للمجتمع وهو الأساس الحقيقي الذي يقوم عليه البناء الفوقي، من النظم القانونية و السياسية...»

هـ- النظام الاشتراكي:

المجتمع هو الذي يصبح يملك وسائل الإنتاج وهو المجتمع الذي يخلو من الطبقات وتنمو فيه الوسائل نموا حرا، و ينتهي في هذه المرحلة، إلى صراع الطبقات، وبالتالي يصبح دور الدولة غير مجدي.

كان ماركس يؤمن بحتمية التاريخ و حتمية قوانينه، كما يؤمن بحتمية الثورة في المجتمع الصناعي، و لكنه كان يعارض الذين يريدون استعجال الثورة و استعجال التاريخ،وهنا نجد المهتمين بالفكر الماركسي يتساءلون، كيف أن ماركس ظن أن الثورة آتية من الغرب المصنع و لا ريبة في ذلك، ولكن حدوثها وقع في روسيا (هل هذا خطأ التاريخ أم خطأ وقع فيه ماركس؟).

5_ الماركسية الجديدة:

إن منظروا الصراع مثلهم مثل الوظيفيين نجدهم متجهين إلى دراسة البنيات والمؤسسات الاجتماعية، وتعتبر نظرية الصراع سلسلة من المجادلات عكس مواقف البنائية الزطيفية، وهذا ما أنتج الماركسية الجديدة أو المحدثة ، ومن أهم روادها نجد "رالف دارندوف" حيث نجد في أعماله المعتقدات الرئيسية في نظرية الصراع والنظرية الوظيفية في تعارض ومثال على هذا نجد:

- بالنسبة للوظيفيين يعتبر المجتمع ثابت، أو في أفضل الأحوال في حالة توازن متحرك، غير أن "دارنوف" وغيره من منظري الصراع يرون أن المجتمع معرض للتغير في أي لحظة.
- يركز الوظيفيين أيضا من جهة أخرى على الانضباط في المجتمع، غير أن منظروا الصراع يرون ضرورة الصراع في كل نقطة من النسق الاجتماعي.
- يتماسك المجتمع بالمعايير والقيم عند الوظيفيين، بينما الصراعيون يرون أن أي نوع من الانضباط في المجتمع يكون نتيجة عن سيطرة بعض الأفراد الذين يمتلكون السلطة.
- يركز الوظيفيون على الانسجام الناتج من القيم الاجتماعية المشتركة، بينما منظري الصراع يركزون على دور السلطة في الحفاظ على الانضباط في المجتمع.

كان "رالف دارندوف" يعتقد أن المجتمع لا يمكن أن يوجد بدون صراع و وفاق معا، واعتبرهما شرطين لوجود أي مجتمع، لذلك لا يمكن وجود صراع بدون حالة وفاق سابقة له، و بالرغم من التداخل الموجود بين الصراع و الوفاق، إلا ان "دارندوف" لم يكن متفائلا بظهور نظرية اجتماعية واحدة تستوعب العمليتين، وأضاف التوحيد بين النظريتين غير عملي وغير ممكن منذ بداية الفلسفة الغربية، متجنبا بذلك النظرية الواحدة، حيث اهتم هذا العالم ببناء نظرية الصراع الاجتماعي.

6_ السلطة في نظرية الصراع الجديدة:

ركز "دارندوف" على البنيات الاجتماعية الكبرى، باعتبار أن هناك مواقع مختلفة في المجتمع لها مساحات مختلفة من السلطة، حيث ترتكز هذه الأخيرة عند الأفراد في المواقع فقط، وكان اهتمام "دارندوف" مهتما ببنية هذه المواقع وأيضا بالصراع الذي يحدث في داخلها، مفرقا بين الأدوار والمواقع التي حددت عن طريق السلطة أو عن طريق الخضوع.

إن المهمة الأولى للتحليل الصراعي يكمن في تحديد مختلف أدوار السلطة في المجتمع، ثم نضيف الاهتمام بتحديد البنيات الكبرى مثل أدوار السلطة ، حيث اعترض "دارندوف" على الذين يركزون في دراساتهم على مستوى الفرد، مثل الذين يركزون على الخواص السيكولوجية أو السلوكية للأفراد الذين يتواجدون في تلك المواقع.

إن السلطة المصاحبة للمواقع هي أهم عامل في تحليلات "رالف دارندوف"، حيث تفترض السلطة تلك السيطرة والخضوع الدائم، باعتبار أن الذين يحتلون المواقع يتوقع منهم أن يسودوا ويسيطروا على من يخضعون لهم، لهذا فإنهم يسودون نتيجة لتوقعات من حولهم، وليس بسبب ميزاتهم السيكولوجية، فهذه التوقعات مثلها مثل السلطة تكون مصاحبة للمواقع وليس للأفراد.إن السلطة ليست ظاهرة اجتماعية معممة، فالذين هم عبارة عن موضوع للسيطرة وكذلك مجالات السيطرة يكونون دائما تحت سيطرة محددة في المجتمع. كما يرى أيضا هذا العالم أن السلطة قائمة في المواقع وليس في الأفراد، لذلك فإن الشخص الذي هو في موقع سلطة في مقام معين لا يحتل بالضرورة موقع سلطة في مقام آخر، ثم أن السلطة أيضا داخل أي منظمة منقسمة إلى قسمين، لهذا توجد مجموعتان صراع ضمن أي منظمة، الذين في موقع السلطة و الذين في موقع الخضوع، حيث لديهم مصالح معينة ومحددة ثم أنها أيضا متناقضة في المضمون والاتجاه، وضمن أي مجموعة نجد الذين هم في مواقع السيطرة يسعون للمحافظة على الوضع القائم في حين أن الذين في مواقع الخضوع يسعون من أجل التغيير.

أما عن صراع المصالح فهو دائم الوجود في مجموعة على الأقل بصورة كاملة وهو صراع كامن غير ظاهر دائما، مما يعني أن شرعية تلك السلطة مشكوك فيها، وصراع

المصالح هذا ليس بالضرورة أن يكون معروفا حتى يتمكن المسيطرون والخاضعون من التفاعل، فمصالح المسيطرين وحتى الخاضعين تكون موضوعية، لأنها أساسا موجودة في توقعات الدور المصاحب للمواقع، والأفراد ليسوا بحاجة إلى استبطان هذه التوقعات حتى يكونوا واعين بها ليتعاملوا وفقا لها، وإذا احتلوا موقعا معينا فإنهم سيتصرفون كما هو متوقع، كما أن الأفراد يتأقلمون مع أدوارهم عندما يشاركون في الصراع ويصبحون طرفا فيه، سواء من جانب المسيطرين أو من جانب الخاضعين، وقد وصف "دارندوف" توقعات الدور غير الواعية بالمصالح الكامنة والمصالح الظاهرة هي المصالح الكاملة التي دخلت مرحلة الوعي.

ميز "دارندوف" بين ثلاثة أنواع من المجموعات وهي:

1_ تعتبر شبه مجموعة، وتتمثل في مجموع شاغلي المواقع الذين لديهم مصالح خاصة، كما أنها تمثل الأرضية والقاعدة الأساسية التي ستنبثق منها المجموعة الثانية.

2_ مجموعات المصالح، وهي فعلا تعتبر مجموعات حقيقية بالمفهوم الاجتماعي ، ولديها مجالات للصراع الجماعي، تتميز أيضا بأنها ذات بنية ونظام وبرامج وأهداف وحتى أعضاء ينتمون إليها بالفعل.

3_ المجموعة الأخيرة هي مجموعات الصراع التي تتولد من مجموعات المصالح الكثيرة، وتشمل أيضا المجموعات التي تدخل في صراع جماعي.

في الأخير يمكننا إجمال أفكار نظرية "دارندوف" حول الصراع، حيث أنه يتعلق أساسا بالعلاقة بين الصراع والتغيير، باعتبار أنه عندما تظهر مجموعات الصراع فإنها تبدأ في أفعال تقود إلى تغير البناء الاجتماعي.إذن عندما يكون الصراع عنيفا فإن التغير الذي يحدث يكون جذريا وعندما يكون الصراع مصحوبا بالعنف فإن التغيرات البنائية تحدث فجأة ومهما كانت طبيعة الصراع والتغير وبين الصراع والوضع القائم.

7_ نقد النظرية الماركسية:

لقد أنزعج المنظرون النقديون من الحتمية الاقتصادية التي تتبناها النظرية الماركسية، حيث يعتبرون أنها تحتوي على ميكانيكيات زائدة، سواء كان الأمر في أعمال "كارل ماركس"

الأصلية والتي تعتبر المرجع الأساسي لهذه النظرية، أو حتى في ما كتبه الماركسيون الجدد، والنقاد لم يشيروا إلى أن الحتمية الاقتصادية توجها خاطئ، لكنهم يعتبرون أن الأوجب عليهم هو الاهتمام بالجوانب الأخرى في المجتمع ككل، ومن أجل تصحيح عدم التوازن ذاك فإن النظرية النقدية ركزت أكثر اهتمامها على المجال الثقافي في حياة المجتمعات.

_ خلاصة:

_ يساعد الصراع في تأسيس هوية المجتمعات والمجموعات وحدودها، ويساعد في المحافظة عليها، وذلك لأن الصراع مع مجموعات أخرى يساهم في تأسيس وتأكيد هوية المجموعة ويحافظ على حدودها في مواجهة المجموعات الأخرى في العالم الاجتماعي.

_الصراع ليس دائما مضرا بالعلاقة التي يحدث فيها، عادة ما يكون الصراع ضروريا لاستمرار العديد من العلاقات، وبدون وسائل للتعبير عن العداء تجاه البعض، وللتعبير عن معارضتهم فإن أعضاء المجموعات ربما يشعرون بأنهم خاضعون بالكامل، وقد يكزن رد فعلهم الانسحاب من المجموعة، بإطلاق الأحاسيس المكبوتة من الحقد والعداء ويساهم الصراع في الحفاظ على العلاقات.

_ الصراعات التي تنشأ من الإحباط حول مطالب محددة داخل العلاقة أو من تقديرات الكسب والتي تكون موجهة نحو الأهداف التي سببت الإحباط، يمكن أن تسمى صراعات حقيقية بما أنها وسائل لتحقيق أهداف معينة.

_الصراع يساعد في إزالة عوامل التفكك في علاقة ما ويعيد بناء الوحدة داخل المجموعة.

_ يكون الصراع أكثر عمقا و جذرية عندما ينشأ في العلاقات القريبة، وذلك لأن التواجد المشترك للوحدة والتعارض في مثل تلك العلاقة يؤدي إلى حدة الصراع، كما أن الحميمية والقرب يستدعيان ردود أفعال أكثر عمقا وعنفا.

الدرس (6): أوجست كونت

1_ سان سيمون وأوجست كونت

أ_ سان سيمون

ب_ أوجست كونت

2_ قانون المراحل الثلاث

3_ التنظيم العقلي للمجتمع

4_ منهج البحث عند كونت

5_ النظرية الوضعية

6_ نقد النظرية الوضعية

خلاصة

أوجست كونت والاتجاه الوضعي في علم الاجتماع:

1_ سان سيمون و أوجست كونت:

كان نمو النظام الرأسمالي في أوربا بعد الصراعات ومختلف الأفكار الاجتماعية، خاصة بعد أن تحققت الثورة الصناعية وما جلبته من ماسي في الاستغلال الفاحش للأغلبية من الفقراء و العاطلين عن العمل من طرف الأقلية الثرية و التي ظهرت نتيجة للتغير في أساليب الإنتاج الذي أدى إلى القضاء على الصناعات الحرفية التقليدية القديمة و قيام الصناعة الحديثة على أساس ما يعرف بالإنتاج الكبير في المصانع التي يعمل بها عدد كبير من العمال، إذن قد جلبت الثورة الصناعية ثروة كبيرة لأفراد قلائل، و لكنها أدت في نفس الوقت إلى انقسام واضح داخل هذه المجتمعات، فظهرت المشاكل الاجتماعية والتي منها تشكلت انقسامات المجتمع الأمر الذي أدى بعدد من المفكرين و الكتل إلى أن يكرسوا جهودهم للكشف عن عيوب هذه الثورة وأسباب سوء استغلال نتائجها.

أ- سان سيمون:

الكونت كلود هنري سان سيمون(1760-1825) تخلى في الثورة الفرنسية عن لقبه وتمرد على السلطة،و قد كان ابن الثورة الفرنسية إذ لم يكن قد بلغ الثلاثين عندما اندلعت سنة 1789، كانت الثورة الفرنسية انتصارا للطبقة الثالثة أي الفقراء و العاطلين عن العمل، لكنه سرعان ما أصبح انتصارا مزيفا حيث استغلته جماعة أخرى وهم الذين استولو على أملاك كبيرة، وهكذا ارتبط في ذهن سان سيمون التناقض بين الطبقة الثالثة و البرجوازيين الجدد، إذ كان واضحا أن العاطلين عن العمل قد فقدوا القدرة على القيادة الفكرية و السيطرة السياسية، وهو ما أكدته الثورة في نهاية المطاف، فمن الذي يقود هذه الأمة؟ ذلك هو تقدير سان سيمون العلم والصناعة أو العلم الذي يمثله الباحثون و المفكرون لكي يكون في خدمة الصناعة و التطور.

كانت أراء سان سيمون هامة من الناحية التاريخية و الاجتماعية، و لكنها كانت تصور ذلك السيد (الأرستقراطي) الذي أصبح فيلسوفا و مصلحا اجتماعيا، و أن أفكاره بنيت على

الأراء الأخلاقية، تهدف إلى إصلاح الضمير الخلقي، كان سان سيمون يعتقد أنه أخذ من الطبيعة سرا كبيرا، فتدرج في دراسة الكون و المجموعة الشمسية، ثم رجع إلى الأرض، ليدرس الأجناس البشرية والظواهر الموجودة، وهو بذلك يحاول الوصول إلى وضع قوانين تنظم المجتمع، والواقع أنه اهتم بالعلماء أكثر من اهتمامه بالعلم، وكان يمتاز بميل اجتماعي كبير، معتقدا أن العلم وسيلة من الوسائل التي تصلح المجتمع، وطلب من العلماء إعتبار "نيوتن" قائدا للحركة الفكرية العلمية.

برزت أفكاره في كتابه:" مذكرات في علم الإنسان"إذ يؤكد فيه أن السياسة و العلوم الإنسانية ستصبح علوما وضعية (المنهج العلمي) و ينبه إلى ضرورة دراستها بنفس، المناهج المتبعة في علوم عصره، وأبرز في هذا الكتاب قانون الأحوال الثلاث الذي ينظم تطور الفكر البشري،ومراحله من الحالة اللاهوتية إلى الوضعية مرورا بالحالة الفلسفية التي طورها بعده أوجست كونت.

ب- أوجست كونت Augueste cont*:

هو عالم فرنسي ولد سنة 1798، بدأ حياته كاتبا لسان سيمون، الأمر الذي جعله متأثرا به في حماسه لإصلاح المجتمع، استطاع أن يركب من جميع الآراء والنظريات التي كانت سائدة في عصره، فلسفة ايجابية (وضعية) ليست تأملية، وهي فلسفة تقوم على تصور الطبيعة العضوية للمجتمع ونموه المستمر، أي أن الوضعية مذهب كامل للمعارف الإنسانية،وهي وضعية لأنها تهدف إلى اعتبار النظريات في أي علم من العلوم إنما تهدف إلى ملاحظة الوقائع أساس العلم الذي يجب أن يهدف بدوره إلى اكتشاف القوانين التي تنظم الحوادث الكونية، بما فيها علم الاجتماع،أي أنه يريد أن يقول:« يمكن دراسة الحوادث الاجتماعية بالمنهج العلمي»، و هو يحاول تطبيق فكرة سان سيمون المتعلقة بالدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية.

لم يحدد كونت فروع علم الاجتماع كما فعل ابن خلدون، إلا انه قسمه إلى قسمين كبيرين، وهما الثبات و الحركة، لأن هذين المصطلحين يعتبران أهم ما قسم إليه كونت علم

*. عبد المعطي عبد الباسط، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة،1988، ص70

الاجتماع، إذ أن القسم الأول يمثل الثبات أو الاستقرار، أي ثبات النظم الأساسية في المجتمع، كالنظام الاقتصادي والسياسي، ويحدد علم الاجتماع في هذه الحالة بأنه: دراسة العلاقات المتبادلة بين مختلف هذه النظم، لأن أجزاء المجتمع لا تفهم منفصلة، لأنها ليست ذات وجود منفصل أو مستقل بل هي تكون بناءا متكاملا،وبالنسبة للحركة الاجتماعية فهي الدراسة الخاصة بالمجتمعات الكاملة بجميع نظمه كوحدة للتخيل الاجتماعي، كيف تطورت؟ أو كيف تغيرت عبر الزمن؟

إن كونت يرى أن الإدراك السليم لتطور المجتمع ككل هو الطريق السليم لفهمه،ولهذا وضع قانونه المشهور، باسم قانون المراحل الثلاث، ومن الناحية المنهجية وضع كونت نظاما متسلسلا للعلوم، إذ جعل قاعدة المعارف هي الرياضيات التي اعتبرها أبسط العلوم، ثم تتسلسل هذه المعارف بالترتيب: علم الفلك، علم الكيمياء، علم الأحياء،علم الفيزياء الاجتماعي(علم الاجتماع)، ويرى أنه إذا كان كل علم ضروري من حيث التسلسل لكل علم يأتي بعده،فإن العلوم التي تأتي بعد علوم أخرى، تكون دائما أكثر تعقيدا،وهو الأمر الذي يمكن أن نفسر به تعقيد علم الاجتماع.

إن نظرية "كونت" في السياسة خلال القرن التاسع عشر لا يمكن عزلها عن نظريته العامة في الإنسان والمجتمع وعلى عن الظروف التي أحاطت بظهورها، حيث اتسمت هذه الفترة بحروب واضطرابات سياسية واجتماعية متعددة، منها الحروب النابوليونية إلى حرب القرم ،فضلا عن الصراع بين العمال وأرباب العمل، والمحافظين الليبيراليين وبين الجمهوريين الملكيين. وهذا كله قاد "كونت" إلى التفكير بوضع علم للمجتمع، أو دين للانسانية يجنبها النزاعات السياسية ويحقق لها السلام الاجتماعي، حيث يرى أن فلسفته تتمثل في إعادة تنظيم المجتمع، ويرى كونت أن الفكر البشري قد مر خلال تطوره التاريخي في حالات ثلاث.

2- قانون المراحل الثلاث*:

* Guy rocher,Introduction a la sociologie,paris,1968,p63-64.

قدم كونت قانون الأطوار أو المراحل الثلاث التي يمر بها كل مجتمع، بحيث أن العقل البشري قد تطور في كل مرحلة وهي:

أ- الحالة اللاهوتية:

حيث أن أفكار البشر تركز على الأمور الدينية فقط، والوحدة الأساسية في المجتمع هي الأسرة، و فيما يتجه الناس إلى تحليل إجمالي للكون، أي أن التطورات التي تسير العالم،إنما تخضع لإرادة إلاهية، وهي بدورها تنقسم إلى 3 مراحل:

- الوثنية - التعددية - التوحيدية.

ب- الحالة الميتافيزيقية:

أو الفلسفية، وتسود فيها الأفكار الفلسفية، والوحدة الاجتماعية هي الدولة، وهي مرحلة اتكالية حيث يربط الإنسان أفكاره بالقوى الغيبية فقط وتفسير كل ما يحدث بأنه فوق ما أراده البشر كالبدو. حيث اتجه الإنسان إلى تحليل الكون أو تفسيره أي إعطائه سبب بوجود يقوي كامنه فيه، وهي التي تؤثر في حركتها، فالنبات ينمو لأنه يحتوي على طبيعة نباتية، والنار تحرق لأن فيها قوة الاحتراق.

ج- المرحلة الوضعية:

وهي المرحلة التي بدأت تسحب كونت بالثورة الفرنسية 1789 وهي بذلك تكون قد بدأت في الوقت الذي كان فيه كونت موجودا،ويسود فيها الفكر العلمي واستخدام القوانين والمناهج العلمية دون تدخل العوامل الشخصية، وهي تتميز بظهور الفلسفة الوضعية، أي المرحلة التي يعتمد فيها الإنسان على العلم الذي هو أساس كل معرفة واقعية للطبيعة وللمجتمع.

- يعرف كونت علمه الجديد(السوسيولوجيا) بأنه العلم النظري،المختص بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تعتمد على المنهج العلمي الشبيه بمنهج العلوم الطبيعية، المتمثل في الملاحظة و التجربة،أي دراسة ما يحصل عقب التبدلات والتغيرات في نسق أو في نظام

المجتمع ككل، ثم المقارنة بين مختلف المجتمعات، وتتبع التطورات التي مرت بها الإنسانية للوصول إلى ما يتحكم فيها من قوانين عامة.

3- التنظيم العقلي للمجتمع:

اقتنع كونت بالاتجاه الأخلاقي أو العاطفي لإيجاد حلول للمشاكل الاجتماعية،إنما هو اتجاه عظيم ذو شبكة اجتماعية معقدة، مما يصعب حلها عن طريق مطالبة الناس التنازل عن الامتيازات التي حصلوا عليها بطرق متعددة باسم المساواة و الفضائل،كما فهم أن الظواهر الاجتماعية التي تحكم سلوك الناس دون إرادة منهم و ذلك لم تحتويه من قيم خلقية، وعادات ترسخت عبر الزمن فلا يمكن التخلي عنها بسهولة،(كالملكية والطبقية،والملكية الاجتماعية والاقتصادية) لذلك وعى كونت إلى وضع نظام يقوم على تغيير أفكار الناس، لأنه يعتقد أن الثورة الفرنسية ، و بالرغم من ظاهرها السياسي إلا أنها كانت ثورة الأفكار السائدة في المجتمع الفرنسي،وهو يرى أن هذا الاتجاه بدأ يأخذ بعده الحقيقي بالشك المنهجي،الذي رفع رايته،(روني ديكارت، R.dicart) حينما رفض المسلمات المرتكزة على العقل أو التأمل،ومحاولة معرفة الحقيقة، بالاعتماد على الحواس في العالم الموضوعي(الواقعي) حيث لابد من إدخال التفكير المنطقي العقلي وما يجول به عن طريق الحواس، فالفلسفة الوضعية جاءت لتخرج الإنسان من فكر العصور الوسطى، و هي تمثل خطين متلازمين،خط يتمثل في المنهج العلمي الذي يجب أن يستعمل في كل العلوم الإنسانية و الطبيعية من جهة ،ومن جهة أخرى فإن الاتجاه الوضعي جاء لتحرير الإنسان،و بالتالي إصلاح المجتمع، فوضع القواعد العلمية الصحيحة لعلم الاجتماع من أجل تحقيق غرضه، أي الوصول إلى حل مشاكل المجتمع بطريقة علمية، أو كما يقول التركيز على قواعد خلقية ثابتة لتحقيق سعادة البشرية مستشهدا بقانون المراحل الثلاث المسايرة لتطور المجتمعات

إن تطور المجتمعات في نظر كونت يساير ظهور العلوم وتدرجها، فالرياضيات باعتبارها أبسط العلوم فلابد أن تنتشر في مجتمع بسيط،وكذلك تطور علم الفلك الذي هو تطبيق للمفاهيم الرياضية على القوانين الفلكية.

يرى "أوجست كونت" أنه إذا كانت الغاية هي تنظيم المجتمعات الحديثة على قاعدة العلم، فإن علم الاجتماع هو الذي يسهم في ذلك لأنه علم كلي، يدرس المجتمع برمته في جميع مظاهره ومقوماته.

إن الحقيقة الوضعية تنطلق من إعطاء الأولوية للكل على الجزء فالوحدة هي النمط الطبيعي للوجود الإنساني، وإن كل جزء من النظام الاجتماعي يؤثر على غيره من الأجواء، وإن هناك حالة من الترابط بين النظام السياسي والمؤسسات السياسية من جهة وبين الحالة العامة للحضارة، لهذا فإن "كونت" يخضع السياسة للأخلاق، فالأخلاق الوضعية تقوم على تقديم الاجتماعي على الفردي، أي الفردية على انتصار الإنسانية وضرورة دمج الفرد في المجتمع، فلا شيء أكثر غرابة على فكر "كونت" من الحقوق، لهذا فهو برى أن الوضعية لا تقر حقا آخر غير حق القيام بالواجب، ولا تقر واجبا غير واجبات الكل تجاه الكل، لأنها تنطلق دائما من وجهة نظر اجتماعية لا يمكن لها أن تقبل بمفهوم الحق الفردي، فكل حق فردي هو عبثي بقدر ما هو غير أخلاقي.

4- منهج البحث عند كونت:

يوضح كونت في كتابه:« دروس في الفلسفة الوضعية» بدقة التطور المنهجي الذي سار عليه العقل البشري إلى أن انتهى به إلى العلم وهو يرى أن العوامل التي تزود عالم الاجتماع تتمثل في استخدام الطرق و المناهج المتبعة في العلوم الطبيعية حيث أنه يضع الملاحظة في مقدمة هذا المنهج و هي من الحواس، وهذه الخطوة لا تتفق مع الفكر الفلسفي الذي يعتمد على العقل، حيث أنه يعتبر الملاحظة بسيطة لأن الظواهر يمكن إدراكها بالحواس أولا، ثم إخضاعها إلى العقل الذي يميز بين ما هو اجتماعي حقيقي(موضوعي) وما هو فردي (ذاتي)،كما أنه يؤكد على ربط الظواهر الاجتماعية بظواهر سابقة عنها بمقارنتها الزمكانية لفهم الخط الذي يحكم سيرها، أي معرفة القوانين التي تتحكم فيها.لقد اقترح كونت

بأن على علم الاجتماع أن يستخدم الطرق الثلاثة المستخدمة في مناهج العلوم الطبيعية وهي: الملاحظة، التجريب، المقارنة، والمنهج التاريخي.

5_ النظرية الوضعية:

كان تأسس الوضعية عند أوجست كونت أو ما يعرف حاليا بعلم الاجتماع كمرحلة لاحقة للفلسفة النقدية السالبة. وتعرف الوضعية بالايجابية لكونها تتخذ موقفا ايجابيا من الواقع الراهن وذلك بعد محاولة رفضه مثلما يفعل التنويريين، والتحول من نفي الواقع إلى الإيمان به والرغبة في تنظيمه.

من جهة أخرى فهي أيضا وضعية لأنها ترضى بما هو قائم و تحاول تنظيمه على أساس من الادراك المنظم للعقل الباحث، أي بواسطة العلم ،" فالوضعية تسعى إلى وصف وتحليل الظواهر في إطار وجودها كأمر واقع دون محاولة تغيير هذا الواقع[1].

إذن لا يسعنا إلا أن نقول أن علم الاجتماع الوضعي يختص أكثر بالبحث في الوقائع بدلا من الأوهام المتعالية، وكذا بكل معرفة نافعة وتستغني عن التأمل العقيم كما تسميه، وباليقين بذلا من الشك والتردد وفي النهاية تقوم بالتنظيم والشيء الأكيد الذي يجمع كل الحالات هو أن علم الاجتماع الجديد مرتبط بحقائق النظام القائم.

إذن : "الوضعية هي بمثابة اتجاه فكري يستند في تأسيس معطياته على التجربة وذلك باستخدام المنهج العلمي في الحصول على هذه المعطيات، متخذة من العلوم الطبيعية إطارا يحاول مد نتائجه لكي تصدق على العالم ألإنساني[1].

يرى كونت أنه يوجد بين الفرد والإنسانية جماعات وسيطة هي الأسرة والوطن، ويعطي أهمية كبيرة للأسرة والمرأة على وجه الخصوص في التنشئة الأقلية، فالأسرة هي الوسيط بين الفرد والوطن ،والوطن هو همزة الوصل بين الأسرة والإنسانية، إلا أن فكر كونت لا يدعو

[1]. غربي علي مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث و الترجمة ، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر، 2007،ص 40

[1]. علي غربي نفس المرجع السابق، ص 41

إلى المساواة على الصعيد السياسي، بل هو يؤمن بدور النخب ويقيم تمييزا حادا بين الجماهير والاختصاصيين والحكام، وينيط أمر تحديد الأهداف والوسائل بالمختصين بالعلوم السياسية وحدهم، إذ يقول أن الجماهير تطلب والصحافيين يقترحون والحكام ينفذون، وإذا لم تكن هذه الوظائف متميزة فإن التعسف سيسود في المجتمع إلى درجة جد كبيرة. وهكذا فإن غاية السياسة عند "كونت" هي أن يصبح كل مواطن موظف اجتماعيا خاضع للسلطة بصورة تامة. والسياسة الوضعية تلتمس الطاعة الكاملة، فالنظام فيها ينتصر على التقدم.

في الأخير يمكننا أن نشير إلى أن الوضعية الكونتية كان هدف تأسيسها هو إصلاح المجتمع الذي هزته كثيرا الفلسفات النقدية والحركات الثورية، خاصة الثورة الفرنسية وما حماته من تغييرات جذرية في الواقع الاجتماعي، فهي التي تزعم أنه لا يمكن تغيير المجتمع إلا بتحقيق الاتساق العام بين أجزائه. ويتم ذلك طبعا بإتباع منهجية ملائمة، اقتداء بمنهج العلوم الطبيعية التي تقدمت كثيرا مقارنة بباقي العلوم.

6_ نقد النظرية الوضعية:

ركز المنظرون النقديون انتباههم على الأسس الفلسفية للبحث العلمي، وهي تلك الفلسفة التي عرفت بالوضعية، حيث تقول الوضعية أنه توجد طريقة علمية واحدة يمكن تطبيقها في كل مجالات الدراسة، كما أنها تأخذ علم الفيزياء كمقياس لصحة كل العلوم الأخرى، وتقر الوضعية بأن المعرفة بطبيعتها محايدة وبذلك يمكن للوضعيين إبعاد القيم الإنسانية عن أعمالهم، وهذا يقود إلى وجهة النظر التي تقول أن العلم ليس في وضع يسمح له باقتراح أي فعل اجتماعي محدد، وكان اعتراض المدرسة التقدية على الوضعية في عدة اتجاهات منها:

أ – تجاهل الوضعيين للأفراد الفاعلين، حيث يقومون باختزالهم إلى كتل سالبة تتحدد بالقوى الطبيعية.

ب_ تجسد الوضعية العالم الاجتماعي ماديا، وتتعامل معه على أنه صيرورة طبيعية، بينما يركز النقديون على النشاط الإنساني وعلى الطرق التي يؤثر بها ذاك النشاط على البنيات الاجتماعية الكبرى.

ج_ يعتقد الوضعيون بتميز الأفراد الفاعلين بالتالي فإن النقاد لا يقبلون فكرة أن قوانين العلوم العامة يمكن تطبيقها بدون التعرض للفعل الإنساني، كما اتهمت الوضعية بالحكم على كفاية الوسائل من أجل الغايات لكنها لم تطلق تلك الأحكام على الغايات نفسها، وقاد هذا إلى النظرة بأن الوضعية في طبيعتها محافظة وليس في مقدورها التعرض للنسق الموجود، وباختصار تقود الوضعية الأفراد وحتى علماء الاجتماع إلى السلبية.

يرى أيضا "جون ستيوارت ميل" أن الوضعية هي نظاما كاملا للاستبداد اروحي والزمني، ومع ذلك فقد استطاعت الفلسفة الكونتية التأثير على عدد كبير من المفكرين والأدباء، وبالتالي أصبحت الفلسفة الرسمية في ظل حكم الإمبراطورية الثانية.

_خلاصة:

يرى كونت أن العلوم تتطور كما تتطور المجتمعات، حيث يمر كل علم بنفس المراحل التي تمر بها العلوم الأخرى إلا أن سرعة تطور العلوم تختلف من علم إلى آخر، فالعلوم البسيطة أسرع من العلوم المعقدة، فم

ثلا علم الفلك أبسط من علم الطبيعة ثم الكيمياء، فعلم الاجتماع عند كونت هو أكثر العلوم تعقيدا.

وقد قسم فيبر الفعل الاجتماعي إلى أربعة أنماط وهي:

1_ الفعل العقلي الذي توجهه غايات محددة و وسائل واضحة، كالمهندس الذي يصمم مشروعا معماريا.

2_ الفعل العقلي الذي توجهه قيمة مطلقة، حيث أن الاعتقاد في القيمة المطلقة من أجل ذاتها دون مطامع خاصة مختارا الوسائل التي تدعم إيمانه بالقيمة.

3_ الفعل العاطفي أي ما يصدر عن الحالات الشعورية.

4_ الفعل التقليدي أي ما تمليه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة، فيعبر عن استجابة آلية اعتاد عليها الفاعل، ويظل دائما على هامش الفعل الذي توجهه المعاني.

الدرس (7): إميل دوركايم

1_ ايميل دوركايم وعلم الاجتماع

2_موضوع علم الاجتماع عند دوركايم

3_ مبادئ المنهج عند دوركايم

4_ أهم أفكار ايميل دوركايم

5_ دوركايم وكونت وهربرت سبنسر

6_ تأسيس علم الاجتماع

7_ النظرية الوظيفية الاجتماعية عند إميل دوركايم:

8_ أهم كتبه

أ_ تقسيم العمل الاجتماعي

ب_ الانتحار

ج_ قواعد المنهج في علم الاجتماع

خلاصة

1_إيميل دوركايم وعلم الاجتماع:

ولد عالم الاجتماع "إيميل دوركايم" في مدينة "إبينال" بفرنسا في هر أفريل سنة 1858، من عائلة يهودية ذات إمكانيات متواضعة، كان سيصبح "حاخاما" مثل والده، إلا أن وفاة والده جعلته يتحل مسؤوليات ثقيلة، حيث أصبح "دوركايم" مقتنعا بأن الجهد والحزن يساعدان على التقدم الروحي للفرد أكثر من المتعة والفرح.

حصل على الباكلوريا في الآداب والعلوم ودرس الفلسفة في العديد من المدارس الثانوية من عام 1882 إلى 1887 ، كما تم تعيينه أستاذا محاضرا في جامعة "بوردو"، وأصبح أستاذا للعلوم الاجتماعية عام 1896، ثم انتقل إلى السوربون في عام 1902، وفي عام 1906 تم تعيينه أستاذا للتربية، وأستاذا للتربية وعلم الاجتماع عام 1896.

كان "إيميل دوركايم" من مؤسسي العلوم الاجتماعية، وكان يعتقد أن الظواهر الاجتماعية والمؤسسات (الحقائق الاجتماعية) تشكل حقيقة مستقلة لا يمكن اختزالها في الخصائص النفسية أو البيولوجية للأفراد وتفاعلاتهم، كما طور منهجية قوية تجمع بين البحث التجريبي والنظرية الاجتماعية، فهو مؤسس المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع، وامتد تأثير "دوركايم" إلى ما وراء العلوم الاجتماعية، فقد تحول علم الاجتماع إلى دراسة القانون، الاقتصاد، المؤسسات الاجتماعية، علم الأجناس، تاريخ الفن، واللسانيات.

أصبح فكر دوركايم حول التعليم والدين وسائل فعالة لإصلاح البشرية أو المؤسسات الجديدة التي تتطلب تغييرات هيكلية عميقة في المجتمع، لاقى إعجابا من زملائه بسبب حماسته للإصلاح التربوي، حتى أنه شارك في العديد من اللجان لإعداد مناهج وطرق جديدة في العمل على إحياء تدريس الفلسفة، التي ركزت على العموميات وتعليم المعلمين كيفية التدريس.

ألقى دوركايم سلسلة من الدورات في بوردو حول موضوع التطور التربوي في فر نسا والتي نشرت بعد وفاته في عام 1938، ويعد أحد أفضل الكتب استنارة وأكثرها حيادية حول التعليم الفرنسي.

كما قدم مؤلف الأشكال الأولية للحياة الدينية، والتي تعاملت مع النظام الطوطمي في أستراليا، والذي أظهر فيه فهما متعاطفا للدين في جميع مراحله، لكنه أخضع الدين في النهاية لخدمة المجتمع من خلال استنتاجه أن الوظيفة الأساسية للدين هي الحفاظ على النظام الاجتماعي، لم يصنع دوركايم صنما لعلم الاجتماع مثل الوضعيون الذين درسهم كونت، ولم يكن وظيفيا يفسر كل ظاهرة اجتماعية بفائدتها في الحفاظ على وجود وتوازن كائن اجتماعي، فقد سعى إلى صياغة علم اجتماعي إيجابي يوجه بسلوك الناس نحو التضامن.

2_ موضوع علم الاجتماع عند دوركايم:

حدد إيميل دوركايم موضوع علم الاجتماع بأنه دراسة الظواهر الاجتماعية، فهي كما يقول:« عبارة عن نماذج من العمل و التفكير و الشعور التي تسود مجتمع من المجتمعات والتي يجد الأفراد أنفسهم مجبرين على إتباعها فيعملهم وتفكيرهم»، ولما كانت الظوهر الاجتماعية خارجة عن إرادة الفرد، ومستقلة أيضا عن شعوره، إذ أنّ الإنسان لو يمعن النّظر في سلوكاته وتصرفاته المختلفة فسوف يجد نفسه مقيدا بمجموعة من القواعد والتقاليد والعادات التي كانت موجودة من قبل مثلها مثل:المواد والأشياء الموجودة في الطبيعة المحيطة بالإنسان لذلك يقول: يجب أن تدرس هذه الظّواهر كأشياء، وهذا يعني يمكن ملاحظتها ملاحظة علمية تهدف إلى استخراج القوانين التالية التي تتحكم في سير هذه الظّواهر

وهنا يجب أن ننتبه إلى أن الفرد سيشارك في تكوين الظّاهرة بصورة وبأخرى، وهو الأمر الّذي يجب أن يعمل حسابه عند ملاحظة هذه الظّواهر، فكثيرا ما يعجز الإنسان عن ملاحظة نفسه، وهي أقرب شيء إليه، هنا نتحدّث عن الذّاتيّة والموضوعيّة أي الأحكام القيميّة الّتي لا يجب الانتماء إليها لأنّ البحث العلميّ يهدف إلى ما هو كائن وموجود فعلا، ولا يبحث فيما يجب أن يكون، ويرى دوركايم أيضا أن الظّاهرة الاجتماعيّة تحمل طابع الإكراه والإلزام، وإذا كنّا لا نشعر بهذا الإلزام، فإنّنا نلاحظه عندما نحاول الخروج عن حدود تلك القواعد القيمية والسلوكية التي حدّدها المجتمع في شكل ظواهر اجتماعية، وفي هذا المعنى يقول دوركايم:« عندما أقوم بواجبي كأخ أو كمواطن فإنّني أقوم بواجبات حدّدتها

القوانين والعادات بصورة مستقلّة. ليس هذا فحسب بل إنّ الكلمات الّتي يعبّر بها عن الأفكار، والعملة الّتي أدفع بها ديوني والقواعد الّتي أسلكها في المهنة الّتي أقوم بها....كلّ هذه الأمور تعمل بصورة مستقلّة عن إرادتي، فإذا حاولت مخالفة هذه القوانين ثار المجتمع عليّ محاولا إعادتي إلى الصّورة الطّبيعيّة أو معاقبتي، فأنا أخضع لما اتّفق عليه النّاس في المجتمع كما يجب عليّ الخضوع للعادات.

وتمتاز الظّاهرة الاجتماعيّة بأنّها ظاهرة جمعيّة،حيث يرى أنّ الظّاهرة توجد مستقلّة عن الفرد ولكنّها تأتي إلى عقله كشيء خارجيّ في صورة قواعد خلقيّة أو قانونيّة أو منطقيّة.

3_مبادئ المنهج عند دوركايم Imil.durkhaim*:

يمكن تقسيم مبادئ المنهج عند دوركايم إلى ثلاثة وهي:

أ-رفض الأفكار المسبقة: حيث يقول : « إنّ علم الاجتماع إذا أراد أن يكون علما وصفيا يجب أن يفترض في البداية أنه يجهل كل شيء ويشاهد الظّواهر، ويدوّن الملاحظات، ثم يستخرج منها القوانين»

ب-تفسير الاجتماعي بالاجتماعيّ: بحيث يفسر الظاهرة الاجتماعية بالعودة إلى ظروف وأسباب اجتماعية في إطارها

ج-اعتبار الظّواهر الاجتماعيّة كأشياء

*. دوركايم ايميل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، تر.قاسم(محمود) و بدوي(السيد محمد)، القاهرة، مكتب النهضة المصرية،1974، ص 28-36

4_ أهم أفكار إيميل دوركايم:

من أهم أفكار "دوركايم" ما يلي:

_ إن المجتمع عنده فريد من نوعه، وغير قابل للاختزال إلى أجزاء، ويتم إنشاؤه عندما تتفاعل الضمائر الفردية وتندمج معا لخلق واقع اصطناعي جديد تماما، وأكبر من مجموع أجوائه.هذه النظرية لا يمكن فهمها إلا من منظور اجتماعي، ولا يمكن اختزالها في تفسيرا بيولوجية أو نفسية، لأن حقيقة أن الحياة الاجتماعية تتمتع بهذه الخاصية ستشكل أساسا لادعاءات أخرى لدوركايم بأنه يمكن دراسة المجتمعات البشرية علميا، لذلك طور منهجية جديدة تركز على ما يسميه "الحقائق الاجتماعية"، أو عناصر الحياة الجماعية التي توجد بشكل مستقل عن الفرد وقادرة على التأثير فيه.

في الفترة التي بدأ فيها دوركايم الكتابة لم يكن علم الاجتماع معترفا به كمجال دراسة مستقلا بذاته، لذلك بذل جهودا كبيرة لفصل علم الاجتماع عن جميع التخصصات الأخرى، وخاصة الفلسفة، ومع ذلك أكد دوركايم أن علم الاجتماع والفلسفة مكملان لبعضهما البعض، وذهب إلى القول أن علم الاجتماع لديه ميزة على الفلسفة، لأن طريقته الاجتماعية توفر وسائل لدراسة الأسئلة الفلسفية تجريبيا، وليس ميتافيزيقيا أو نظريا، لذلك أسهم الفكر الاجتماعي الدقيق لدوركايم في السماح لإسهاماته في الفلسفة بالاهتمام.

لقد حدد أيضا دوركايم أنواعا مختلفة من الحقائق الاجتماعية تشكل القانون القانوني للمجتمع، او المعتقدات الدينية أو مفهوم الجمال او النظام النقدي أو طرق ارتداء الملابس أو لغته،أي من السهل أن نرى كيف يفرض المجتمع نفسه على الفرد من الخارج من خلال إنشاء معايير وقيم اجتماعية يتم تشجيعها، كما أن تيارات الرأي أو الظواهر الاجتماعية التي تعبر عن نفسها من خلال الحالات الفردية، هي أيضا حقائق اجتماعية، وتشمل معدلات الزواج أو الولادة أو الانتحار، ويمكن دراسة هذه الظواهر باستخدام الإحصاء التي تجمع الحالات الفردية وتعبر عن حالة معينة من العقل الجماعي

مع تغير اهتمامات دوركايم، تغير مفهومه عن الإكراه وكلمة "تقييد" ففي أعماله المبكرة، كان للقيود طابع قمعي، أو إلزامي، أما أعماله اللاحقة فيسلط فيها الضوء على الجوانب

الجذابة أو التعبدية للحقائق الاجتماعية، بتفسير "كيف ينجذب الأفراد طواعية إلى رموز أو معايير أو معتقدات معينة؟" فلا يزال المجتمع يقيد أفكار وسلوك الفرد ولكن بطريقة مختلفة جذريا.

إذن من أهم معالم فكر دوركايم في علم الاجتماع نجد ما يلي:

لقد بدأ دوركايم بالتسليم بأن المجتمع عبارة عن نسق **من** الأخلاقيات لا يمكن ملاحظته مباشرة، ولكن من خلال ما يفصح عنه من سلوك وأشياء قابلة للملاحظة، ولا يعني ذلك أبدا أنه يركز على دراسة أشياء مادية، ولكنه يركز على أن المجتمع يريد أن يرقى بالأفكار إلى مستوى الأشياء القائمة بذاتها، كما سلم إيميل دوركايم بأن أفراد يخضعون تماما للضمير الجمعي، وما يحتويه من مبادئ وقواعد أخلاقية، وقد اتضح ذلك كما رأينا في وصفه للوقائع الاجتماعية بأنها ذات طبيعة إلزامية وإجبارية للأفراد.

من الواضح أيضا أن دوركايم قد سلم بأن الإنسان جشع بطبعه، وأنه دائما يسعى إلى الحصول على المزيد ولا يقنع أبدا، وبالتالي فإنه لابد من أن تكون هناك سلطة ما تمارس القهر والإجبار عليه بحيث يقنع بما قسم له، أما الاجتماعية المختلفة فقد رأينا أن هذه المتغيرات هي الظاهرات فيما يتعلق بالمتغيرات التي يفسر بها إيميل دوركايم أساسا متغيرات فكرية وأخلاقية وأنه قد استبعد تماما المتغيرات التاريخية والمتغيرات المادية.

حاول دوركايم أن يكون نظرية، ولابد هنا من ذكر الإجراءات العملية التي يمكن أن تترتب على عالما موضوعيا محايدا ولكنه قد قرر بالفعل أن علم الاجتماع لابد وأن يلعب دورا في تحسين أحوال المجتمع، وقد كان دوركايم يأمل في أن يقدم برامج سياسية واجتماعية تعتمد على الدراسة الاجتماعية الموضوعية للمجتمع، وأن أهداف دوركايم الأساسية من تقديمه لهذه النظرية، هو أن يجعل علم الاجتماع بديلا للاشتراكية، أي أن يجعل علم الاجتماع هو المرشد للسياسة، ورجال الصناعة في توجيه المجتمع لتحقيق الاستقرار الاجتماعي، وللحيلولة دون حدوث أي اضطرابات في النظام الاجتماعي القائم، أي النظام الرأسمالي لنظرية دوركايم، فمن فهمنا لأفكاره جميعا، يتضح أن نظريته ذات طابع محافظ الأيديولوجي، ويتضح من المضمون تماما لا يمكن أن يخطئه الإنسان، فيرى زايلتن مثلا أن

هدف دوركايم في الواقع كان الحفاظ على النظام الاجتماعي بأي ثمن، وبأي طريقة، وبأن دوركايم قد بذل قصارى جهده من أجل أن يسخر علم الاجتماع في تحقيق هذا الهدف، نستشهد هنا بعبارة لدوركايم يقول في معناها أن ما نحتاج إليه لكي نحقق الاستقرار في النظام الاجتماعي هو أن نجعل جماهير الناس قانعة بما قسم لهم، لكن ما يجب عمله لكي نجعلهم قانعين بنصيبهم في الحياة هو أن نقنعهم بأن ليس لهم الحق في أن يحصلوا على أكثر مما لديهم، ولكي نحقق ذلك فإنه من الضروري تماما أن تكون هناك سلطة عليا يعترفون بها وترشدهم دائما إلى الصواب.

يجدر بنا هنا أن نشير إلى أن الأفكار الأساسية التي عبر عنها دوركايم لم تنته بوفاته، لكنها قد راجعت كثيرا في أوروبا و في الولايات المتحدة الأمريكية، وصيغت حولها نظريات أخرى جديدة سواء كانت نظريات وضعية أو نظريات وظيفية، ومما هو جدير بالذكر أن واحدا من علماء الأمريكيين وهو روبرت ميرتون قد صاغ نظريته اعتمادا على الأفكار الأساسية عند إيميل دوركايم، وكذلك الحال بالنسبة للكثيرين من علماء الاجتماع الأمريكيين.

يذكر أيضا كالفن لارسون أن فكر إيميل دوركايم قد لقي رواجا كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد فترة الكساد الاقتصادي التي سادت أمريكا في الثلاثيات، والتي فتش علماء الاجتماع الأمريكيون بعدها عن تفسيرات إيميل دوركايم لهذه الأزمة التي يمر بها المجتمع الأمريكي وحاولوا أن يستعينوا بما قدمه من حلول لكي يرضي الأمريكيون اكتشاف أيميل دوركايم علماء الاجتماع الناس بأوضاعهم الاجتماعية المتدهورة في تلك الفترة، بعبارة أخرى أعاد دوركايم بعد فترة الكساد الاقتصادي في الثلاثينيات واهتموا اهتماما كبيرا بعد ذلك وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وفي ذلك يقول أحد علماء الأمريكان "هينكل"، أن الاهتمام بدور دوركايم في الأربعينيات والخمسينيات حيث اتسع نطاقه خاصة عام 1940، وأصبح دوركايم شخصية محورية في الكثير من المجالات العلمية المتخصصة

يمكننا إذن أن نلاحظ تأثير إيميل دوركايم في تخصصات معينة مثل علم الاجتماع القيم، علم الاجتماع الديني، وعلم الاجتماع الصناعي، علم الاجتماع القانوني، وعلم الاجتماع الجنائي، وعلم اجتماع الجماعات الصغيرة، والتنظيمات الاجتماعية، والتغير الاجتماعي

وأيضا السلوك الجمعي، كما أن الكثيرين من علماء الاجتماع الغربيين المعاصرين يتبنون أفكار دوركايم، ويقول عالم الاجتماع "نسبت" أن دوركايم هو عالم اجتماع حقيقي وكامل.

5_ دوركايم وكونت وهربرت سبنسر:

يشبه دوركايم الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت في تقديم تعميمات، وهربرت سبنسر الذي طور منهجا نفعيا طبقه في العلوم الاجتماعية، لقد كان دوركايم مغامرا وعقائديا مع تجاهل الملاحظة التجريبية، فبالنسبة له ليس للحقائق أي معنى فكري ما لم يتم تجميعها في أنواع من قوانين، فقد ادعى أنه يتم الحصول على معرفة بالواقع الملموس من خلال بناء القيم على الطبيعة الداخلية للواقع، وهذه المعرفة لا يتم إدراكها من خلال ملاحظة الحقائق من الخارج.

خصص دوركايم عناصر من الوضعية لأوجست كونت، بالإضافة إلى عناصر من نهجه العلمي لدراسة المجتمعات، فكان تحليل دوركايم للطرق التي تعمل بها أجزاء مختلفة من المجتمع لخلق كل فعال، بالإضافة إلى استخدامه للتماثل العضوي، من نواحي عديدة مستوحى من العلامة التجارية الخاصة بسبنسر للتحليل الوظيفي، ورغم ذلك انتقد دوركايم هذه المحاولات في علم الاجتماع وشعر أنه لم يفصل تحليلهما بما فيه الكفاية عن الافتراضات الميتافيزيقية، واعتبر دوركايم نماذج كونت وسبنسر أحادية الخط للتنمية الاجتماعية، التي كانت تستند إلى قوانين مسبقة للتطور الاجتماعي.

قام دوركايم بدمج عناصر من نظرية التطور الخاصة به بطريقة نقدية، سعى المنهج الاجتماعي الذي ابتكره دوركايم إلى التحرر من الوضعية الميتافيزيقية لكونت وسبنسر، واختلف كثيرا عن مجرد امتدادا كونت للمنهج العلمي للعلوم الطبيعية إلى المجتمع. ثم أدرك دوركايم انتشار الشذوذ من حوله، وهو إحساس شخصي بعدم الجذور يعززه غياب الأعراف الاجتماعية، وقام بالتعبير عن مصادر انعكاسات دوركايم الاجتماعية التي لم تكن بعيدة عن الفلسفة الأخلاقية، لأول مرة في السويد 1897، تقسيم العمل في المجتمع في 1893، الانتحار، حيث لاحظ دوركايم في هذه الدراسة أن الانتحار يبدو أقل تواترا عندما يكون الفرد

بشكل وثيق في المجتمع، وأولئك الذين يفتقرون إلى هوية اجتماعية قوية سيكونون أكثر عرضة للإنتحار.

6_ تأسيس علم الاجتماع:

ألف دوركايم بعض أكثر العبارات التصويرية حول ماهية علم الاجتماع وكيف ينبغي ممارسته، انصب جل اهتماماه على تأسيس علم الاجتماع كعلم قائم بحد ذاته، يناقش دوركايم للحصول على مكان لعلم الاجتماع بين العلوم الأخرى.

علم الاجتماع إذن ليس مساعدا لأي علم أخر، بل هو متميز ومستقل بحد ذاته.

يجب أن يملك علم الاجتماع كيانا واضحا ومميزا عن الفلسفة أو علم النفس، بالإضافة إلى منهجية خاصة به لإعطائه مكانة في العالم الأكاديمي، والتأكيد على أنه علم شرعي، وقال:" توجد في كل مجتمع مجموعة معينة من الظواهر التي يمكن تمييزها عن تلك التي درستها العلوم الطبيعية الأخرى. الهدف الوظيفي لعلم الاجتماع هو استكشاف بنية الحقائق الاجتماعية.

يعتبر إنشاء علم الاجتماع كعلم أكاديمي مستقل ومعترف به من أهم الأعمال التي تركها دوركايم وأكثرها ديمومة في علم الاجتماع إثر عمله بشكل كبير على البنيوية أو النسق الاجتماعي، من بين الباحثين الذين استوحوا من دوركايم نجد: مرسيل موس، رادكليف براون، تالكوت بارسنز جان بياجيه، كلود ليفي ستروس.... الخ

ألف إيميل دوركايم بعض أكثر العبارات التصويرية حول ماهية علم الاجتماع وكيف ينبغي ممارسته، كان جل اهتمامه تأسيس علم الاجتماع، تعتبر مارغريت غيلبرت فيلسوفة معاصرة للظواهر الاجتماعية التي ناقشها دوركايم، وقدمت قراءة متعاطفة مع مناقشة دوركايم للحقائق الاجتماعية في الفصل الأول ومقدمات كتاب "قواعد المنهج الاجتماعي"، وترى غيلبرت في القسم الثاني من الفصل الرابع من كتابها "حول الحقائق الاجتماعية" في عام 1989 الذي قد يمثل عنوانه تكريما لدوركايم، في إشارة إلى حالاته الاجتماعية السيئة، أن بعض تصريحات دوركايم التي قد تبدو واهية فلسفيا مهمة ومثمرة.

7_ النظرية الوظيفية الاجتماعية عند إميل دوركايم:

ترتبط الوظيفية بشكل واضح بعمل مؤسسها الأول "إميل دوركايم" بالإضافة لعديد من العلماء الآخرين الذين كانت لهم إسهامات كبيرة في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية في المجتمع البريطاني وذلك بين 1920 إلى 1960، مثل مالينوفسكي ورادكليف براون.

هذا بالإضافة لكتابات علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين مثل، إيفانز وبريتشارد ومرفورتس، وماكس جلوكمان، وهؤلاء كان لهم دور واضح في تأسيس النظرية الوظيفية في علم الاجتماع البريطاني، وفي مجال علم اجتماع القرن العشرين يأتي تالكوت بارسونز باعتباره شخصية بارزة في الفترة الممتدة من الثلاثينيات وحتى أواخر الخمسينيات، وعلى الرغم من وضوح أدوار العديد من علماء الاجتماع الوظيفيين الآخرين أمثال ميرتون وكنجزلي دافيد وغيرهم فقد سيطرت أمريكا على علم الاجتماع، وسيطرت الأنثروبولوجيا الاجتماعية على علم الاجتماع البريطاني، ومن ثم أوائل العشرينيات وحتى أواخر الخمسينيات لم يطهر تأثير واضح أو حتى وجود حركة داخل العلوم الإنسانية، كما أن المرحلة النظرية تم السيطرة عليها من قبل النظرية البنائية الوظيفية في مقابل نظرية الاتفاق البنائي.

لابد أن فهم المتغيرات والبدائل النظرية المعاصرة في علم الاجتماع بفهم العملية الوظيفية بالرغم من فقدانها الكثير من تأثير على نظرية علم الاجتماع، وخاصة خارج الولايات المتحدة، وبشكل حي و واقعي فإن تصاعد نظريات الصراع وخاصة عند ماركس، وبعض إصدارات نظرية المساواة بين الرجل والمرأة، وكذلك نظريات الفعل والتفاعلية الرمزية، كما هو الحال في أساليب علم الاجتماع المنطقي، حيث يمكن فهمها في ضوء الانتقادات التي بدأت في الظهور خاصة مع الخمسينيات لحركة الوظيفية.

إن نظريات الصراع والفعل لم تأت إلى الوجود من أجل معاداة الوظيفية، وبالرغم من ذلك فإن لكليهما شهرتها عند قيامها بهذا الدور، وذلك بسبب العديد من العلماء الذين قاموا بطرح العديد من الأسئلة والأجوبة حول الحياة الاجتماعية في حين عجزت الوظيفية عن القيام بذلك.

_ عناصر النظرية الوظيفية عند إميل دوركايم:

- إمكانيات خلق وتكوين مجتمعات متناسقة ومنظمة.
- أراد أن يخلق علم للمجتمع لإيجاد المعرفة المهمة والضرورية ليوضح كيف لهذا أن يحدث.

و في الواقع فقد كان دوركايم ذو وجهة نظر خاصة بالبيانات الاجتماعية، وذلك من خلال ملامحها الأساسية، كما أوضح ذلك من خلال تكوينها من مجموعة من المعايير والقيم.

كما اعتبرت التعريفات الثقافية للسلوك ملائمة ومناسبة، وتستحق المجازفة في كثير من المواقف، فمن خلال العمليات الاجتماعية يتم تعلم مثل هذه التعريفات المعيارية، كما أنه من خلالها أيضا يتم تشكيل الأفراد على أنهم أعضاء في المجتمع، ومن ثم إتاحة وإمكانية الحياة الاجتماعية.

8_أهمّ كتبه:

من أهم ما ألف دوركايم نجد: «تقسيم العمل الاجتماعيّ»، «الانتحار» و"قواعد المنهج في علم الاجتماع " جاء فيها أهم ما يمكن من أفكار في علم الاجتماع، وسنعرضها فيما يأتي:

أ-تقسيم العمل الاجتماعيّ:

في سنة 1893 أخرج كتابه الأول« تقسيم العمل الاجتماعي» حيث اتخذ من تقسيم العمل مؤشرا للتغير، فحاول الربط بينه وبين الظّواهر الاجتماعيّة والتّي تتغيّر نتيجة للتّغيّر الّذي يحدث في تقسيم العمل.

من جهة أخرى يرى أنّ تقسيم العمل إذا كان بسيطا كان له أثره على تصرّفات النّاس وعلى نفسيّة الأفراد حيث يكونون متشابهين في النّواحي النّفسيّة والخلقيّة والاجتماعيّة وحيث تكون عقائدهم وآراؤهم وتصّرفاتهم، كما ينعدم بينهم عنصر الفرديّة.

أمّا إذا ازداد تقسيم العمل فيختلف تبعا لذلك تشابه النّاس الخلقيّ والنّفسيّ والاجتماعيّ كما يزداد تدريجيّا شعورهم لفرديّتهم وتبدأ أذواقهم في الاختلاف، وكلّ ذلك نتيجة للتّخصّص الّذي يأتي عن طريق التّوسّع في تقسيم العمل.

إذن تقسيم العمل يكون بمؤشران:

1-التّغيير 2-المسؤوليّة

-يكون للجريمة وقع كبير على الجماعة في المرحلة الأولى (تقسيم العمل البسيط)وعلى ذلك يكون مرتكبها وجماعته مسئولين جميعا، وينالهم العقاب، أمّا إذا ازداد تقسيم العمل فإنّ الجريمة تصبح فرديّة، ولهذا يكون التّضامن بين النّاس في مرحلة التّقسيم البسيط للعمل (أو التّقسيم حسب طبيعة الأفراد:نساء أو رجالا، أطفالا أو شيوخا،آليّا(ميكانيكيّ)الّذي يقوم على أساس التّشابه بين الأفراد، ثمّ تتغيّر هذه العلاقة في مرحلة تقسيم العمل بين النّاس بالرّغم من شعورهم بأنّ الحياة مبنيّة على التّعاون إذن :

-تقسيم العمل يكون مؤشّرا يحدّد نوع التّضامن: أليّ عضويّ

فالتضامن العضوي يظهر فيه التخصص وتقسيم العمل والاعتماد المتبادل، كما يعم فيه القانون الذي يحافظ على النظام الاجتماعي، ونظام التماسك العضوي هذا يسود المجتمع المعقد وهو المجتمع الحديث حيث كثرت فيه التخصصات و بالتالي تقسيم العمل الاجتماعي.

أما التضامن الآلي فيظهر في مجتمع يسوده التماسك الميكانيكي وهو يتصف بظهور العقل الجمعي فيه، حيث لا نجد اختلاف في وظائف الناس ، فيرتبط الأفراد فيه بالصداقة والجوار والقرابة على أساس العرف الذي يقابل بجزاءات رادعة عند الخروج عن هذا العرف، وبالتالي يسود التماسك الآلي في المجتمع البدائي أكثر حيث لا تخصصات ولا تقسيمات للعمل فيه.

ب- الانتحار:

مفهوم الانتحار كظاهرة اجتماعية: أخرج دوركايم كتابه الشهير عن الانتحار وهو الكتاب الذي بدأ العمل في تأليفه كموضوع يتعلق بالانتحار ومعدل الولادات.. و بدأ يفسر المعلومات الإحصائية التي جمعها،وقد كانت النقاشات حول هذا الموضوع قائمة منذ ما يزيد عن قوانين من الزمن قبل ظهور كتاب دوركايم وهي نقاشات كانت تدور حول الانتحار و العامل الأخلاقي و لم يدرسه أحد دراسة علمية (أي البحث عن السبب).

- تحديد مفهوم الانتحار عند دوركايم: يتميز بميزة خاصة، فهو الموت الذي يكون فاعله هو الضحية نفسها، ومن هنا يظهر السبب وكأنه نفساني وهو أمر لا يستطيع الباحث الاجتماعي أن يصل إلى البرهنة على الفرضية أو معرفة السبب، فتساءل دوركايم عن سبب الانتحار هل هو اقتصادي أم مرضي، أم اجتماعي (ما هي العوامل التي تؤدي إلى الانتحار؟).

ما أثار انتباه دوركايم هو أن المنتحر على علم بما سيحدث له، إنه إذن فعل تعرف نتائجه مسبقا، ومع ذلك فإن المنتحر يقدم عليه، عرفه كما يلي:

«إنه كل حالة موت تنتج بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن فعل ايجابي أو سلبي مرتكب من طرف الضحية نفسه وهو على علم بما سيحدث»[1]

- لاحظ أيضا دوركايم أن نسب الانتحار، تختلف من جماعة إلى أخرى، لذلك أخذ على عاتقه أن يفسر الاختلافات الاجتماعية التي تكون وراء هذا الفعل، ويقول في ذلك أن لكل شعب نسبة معينة من المنتحرين، وهي نسبة تعكس سير الحياة الاجتماعية . ولاحظ أن الأسرة والزواج والطلاق و السياسة،كلها عناصر تؤثر في الانتحار بنسب يمكن تحديدها بالأرقام، كما أن نوع التضامن يؤثر في نسبة الانتحار(الكاثوليكية تدعوا إلى التكامل والتضامن و الترابط الاجتماعي أكثر من البروتستانتية) التي تمتاز بالطابع الفردي، كما يرتفع عدد المنتحرين عند غير المتزوجين، و ينخفض في اوقات المحن والكوارث بصفة

[1].علي غربي، مرجع سبق ذكره، ص 47

عامة، فيكون الانتحار مرتفعا في المجتمعات ذات العلاقة والتضامن العضوي و ينخفض في مجتمعات التضامن.

– ميز بين 3 أنواع من الانتحار:

1– انتحار أناني: يحدث عندما يشعر الفرد المنتحر بعزلة اجتماعية، فإذا كان المجتمع متضامن يكون الأفراد خاضعين لرقابة ومساعدة الغير، و بالتالي ينخفض الانتحار في مثل هذه المجتمعات.

2– الانتحار الغيري: وهو يتعارض مع الأناني،نجده في المجتمعات الأكثر اندماجا و ترابطا(في الحرب).

3– انتحار اللامعياري: عندما يفقد المجتمع المعايير إثر أزمة ما (سياسية، اقتصادية) تؤثر على السير العادي للمجتمع.

ج_ قواعد المنهج في علم الاجتماع:

في الحقيقة تعتبر مسألة" تقسيم العمل الاجتماعي أول مسألة اجتماعية عالجها دوركايم، فألف فيها رسالة قدمها للسربون سنة 1893 حيث نال بها درجة الدكتوراه وتدرج من هذه الدراسة إلى ابتكار طريقة تعتبر من أفضل الطرق التي تتفق مع طبيعة الظواهر الاجتماعية، فحدد أصول هذه الطريقة في كتاب«قواعد المنهج في علم الاجتماع» وهو الكتاب الذي رفعه إلى مصاف كبار الأساتذة فهو يعتبر مرجعا هاما للباحثين،و يعترف دوركايم أن هذا الكتاب يحتوي على كثير من أرائه التي عرضها في كتاب« تقسيم العمل الاجتماعي» لكنه أثر أن يقدم نتائج هذا البحث على مدة و أن يرفقها بأدلتها،و قد كان ظهور كتاب قواعد المنهج سببا في تعجيل نشأة المدرسة الاجتماعية التي انظم إليها كثير من الفلاسفة و المؤرخين و اللغويين والاقتصاديين الذين رغبوا في التعاون مع "دوركايم" وفي هذا الكتاب يرى أن علم الاجتماع ليس تكملة لعلم النفس، بل هو علم قائم بذاته، وذلك لأنه يدرس طائفة من الظواهر التي لا يشاركه في دراستها على أخر والتي يدرسها بطريقة مبتكرة تختلف عن تلك التي يعرفها الناس في معالجة الأمور الاجتماعية، وإنما وجب وجود علم الاجتماع لأن هناك طائفة من الظواهر الاجتماعية التي لاشك في أنها تختلف كل

الاختلاف عن الظواهر النفسية التي تمر بشعور الأفراد والتي يقوم علم النفس بدراستها،وللظاهرة الاجتماعية صفاتها النوعية التي تتميز بها عن غيرها، فهي توجد خارج شعور الفرد، كما تقهره على ضروب من التفكير و السلوك و الشعور، و لا يمكن للفرد أن يغيرها حسبما يحلو له، بل يجب معرفة القوانين التي تخضع لها، وهكذا نستطيع القول أن الظواهر الاجتماعية أشياء خارجية،ومستقلة عن الظواهر النفسية و البيولوجية،وبالتالي يجب دراستها دراسة موضوعية.

_ خلاصة:

_إيميل دوركايم عالم اجتماع فرنسي، أصدر أول مجلة اجتماعية في باريس.

_ألف العديد من الكتب في علم الاجتماع، أهمها: قواعد المنهج في علم الاجتماع، تقسيم العمل الاجتماعي،الأشكال الأولية للحياة الدينية، الانتحار.

_يرى دوركايم أن علم الاجتماع يجب أن يهتم بدراسة:

الحقائق الاجتماعية، البناء الاجتماعي، وأشار إلى خصائص الحقائق الاجتماعية بأنها إجبارية وعامة بين جميع أفراد المجتمع.

_ عرف دوركايم علم الاجتماع بأنه العلم الذي يهتم بدراسة المؤسسات الاجتماعية من حيث تكوينها و وظائفها.

_ من أبرز اهتماماته موضوع تقسيم العمل الذي يرى أنه يمثل ظاهرة اجتماعية سائدة في كل المجتمعات، وأنه يتطور مع تطور المجتمع، ويمكن المجتمع من درجة عالية من التضامن الاجتماعي.

_ صنف دوركايم المجتمعات الإنسانية من ناحية التضامن إلى:

أ_تضامن آلي: حيث أن المجتمعات البسيطة يتماسك أفرادها، ويكون تقسيم العمل بسيط، وشعور جمعي فوري، أفكارهم متشابهة.

ب_تضامن عضوي: مجتمعات معقدة، قليلة التماسك بين أفراد المجتمع، تتسم بتعقيد تقسيم العمل، ضعف الشعور الجمعي، وهي مجتمعات صناعية حديثة.

الدرس (8): ماكس فيبر

1_ ماكسيميليان كارل إميل فيبر

2_ ماكس فيبر وعلم الاجتماع

3_ منهجية ماكس فيبر

4_ النموذج البيروقراطي (العقلاني)

5_ علم اجتماع الدين

6_فيبر في الأخلاق البروتيستانتية وروح الرأسمالية

7_ الطبقات الاجتماعية

8_ كتاب: مقالات في علم الاجتماع الاقتصادي

9_ التفكير العقلاني والترشيد

10_ المنظورات الحديثة في علم الاجتماع

خلاصة

1_ ماكسيميليان كارل إميل فيبر:

أفريل 1864 _ جويلية 1920 كان عالم اجتماع ومؤرخ وفقيه اقتصادي وسياسي ألماني، ويعتبر من أهم المنظرين لتطور المجتمع الغربي الحديث، أثرت أفكاره بعمق على النظرية الاجتماعية والبحث الاجتماعي، على الرغم من أن الاعتراف به كواحد من آباء علم الاجتماع إلى جانب أوغست كونت وكارل ماركس و اميل دوركايم، لم يعتبر فيبر نفسه عالم اجتماع بل وجد نفسه أكثر في علم التأريخ.على عكس دوركايم لم يؤمن فيبر بما يعرف بالتفسيرات أحادية السبب، واقترح بدلا من ذلك أنه لأي نتيجة يمكن أن تكون هناك أسباب متعددة، وعلى عكس دوركايم أيضا، فقد كان فيبر أيضا مؤيدا رئيسيا لمناهضة الوضعية المنهجية، حيث دافع عن دراسة العمل الاجتماعي من خلال الأساليب التفسيرية بدلا من الأساليب التجريبية البحتة، بناء على فهم الغرض والمعاني التي يعلقها الأفراد على أفعالهم، كان هم فيبر الفكري الرئيسي هو فهم عمليات العقلنة والعلمنة وما أعقب ذلك من إحساس بخيبة أمل، لقد صاغ المؤرخ الألماني أطروحة تقول إن مثل هذه العمليات ناتجة عن طريقة جديدة للتفكير في العالم، وترتبط بظهور الرأسمالية والحداثة.

2_ ماكس فيبر وعلم الاجتماع:

_ اهتمامات ماكس فيبر:

لقد اهتم فيبر بمواضيع عديدة ومختلفة حتى بعيدا عن القالب السوسيولوجي، ولد في ألمانيا،وأمضى هناك معظم حياته الأكاديمية،و قد شملت كتاباته ميادين الاقتصاد والحقوق والفلسفة والتاريخ المقارن بالإضافة إلى علم الاجتماع،و قد تحدث في أكثر مؤلفاته عن تطور الرأسمالية الحديثة و أوجه الاختلاف بين المجتمع الحديث والأشكال المبكرة من التنظيم الاجتماعي، وطرح فيبر عبر سلسلة من البحوث الأمبريقية عددا من الخصائص التي تميز المجتمعات الصناعية الحديثة، كما حدد بعض المحاور الجوهرية التي مازالت تدور حولها المناقشات في أوساط علماء الاجتماع حتى اليوم.

سعى فيبر مثله مثل المفكرين من معاصريه إلى فهم طبيعة التغير الاجتماعي وأسبابه،و قد تأثر بماركس رغم انه وجه انتقادا عنيفا إلى بعض مفاهيمه الرئيسية فقد رفض المفهوم المادي للتاريخ،و اعتبر أن للصراع الطبقي أهمية أقل مما رآه ماركس، فالعوامل الاقتصادية مهمة في نظر فيبر، غير أن الآراء و القيم لها أهمية تأثير مماثل على التغير الاجتماعي، وخلافا لسابقيه من المفكرين الاجتماعين اعتقد فيبر أن علم الاجتماع يركز على الفعل الاجتماعي لا على البنية ألاجتماعية يرى فيبر أن الدوافع و الأفكار البشرية في نظره هي التي تقف وراء التغير الاجتماعي، و بمقدور الآراء و القيم و المعتقدات أن تساهم في التحولات الاجتماعية، و بوسع الفرد في نظره، أن يتصرف بحرية و يرسم مصيره في المستقبل،و لم يكن فيبر يعتقد ، كما اعتقد دوركايم وماركس أن للبنى وجودا مستقلا عن الأفراد بل إنه كان يرى أن البنى في المجتمع إنما تتشكل بفعل تفاعل تبادلي معقد بين الأفعال من هنا فإن من واجب عالم الاجتماع أن يتفهم المعاني الكامنة وراء هذه الأفعال.

اشتهر فيبر بأطروحته الأخرى التي تجمع بين علم الاجتماع الاقتصادي وعلم اجتماع الدين، مع التأكيد على أهمية التأثيرات الثقافية المضمنة في الدين كوسيلة لفهم نشأة الرأسمالية (على عكس المادية التاريخية لماركس) ، طور فيبر نظريته أولا في عمله الأساسي، الأخلاق البروتيستانتية و روح الرأسمالية حيث أرجع الزهد في البروتستانتية باعتبارها واحدة مما يعرف بالصلات الاختيارية أو التجاذبات الاختيارية الرئيسية التي أدت إلى ظهور مفاهيم من قبيل اقتصاد السوق والأسواق الرأسمالية والدولة القومية ومصطلحات

أخرى برزت في العالم الغربي، جادل ماركس في موضوع تعزيز الرأسمالية كعقيدة أساسية للبروتيستانية، فاقترح أن الروح الرأسمالية متأصلة في القيم الدينية البروتيستانتية.

تشكل الأخلاق البروتستانتية الجزء الأول في تحقيقات فيبر الأوسع نطاقا في موضوع الأديان العالمية، حيث قام بفحص ودراسة ديانات الصين والهند وكذلك اليهودية القديمة، مع الاهتمام لعواقبها الاقتصادية المختلفة وظروف التقسيم الطبقي الاجتماعي، في بحث رئيسي آخر صدر تحت عنوان " السياسة كمهنة"، عرف فيها مصطلح الدولة على أنها كيان يدعي بنجاح احتكار الاستخدام المشروع للقوة المادية داخل إقليم معين، يعتبر فيبر أول من صنف السلطة الاجتماعية إلى أشكال متميزة: سلطة كاريزمية وتقليدية وقانونية عقلانية، لقد أكد تحليل فيبر للبيروقراطية أن مؤسسات الدولة الحديثة تعتمد بشكل متزايد على السلطة الأخيرة (السلطة القانونية العقلانية).

لقد كان فيبر في الحرب العالمية الأولى من بين مؤسسي الحزب الديمقراطي الألماني الليبيرالي، كما ترشح أيضا لمقعد في البرلمان دون جدوى وعمل مستشارا للجنة التي صاغت دستور "فايمار" الذي وصف بالدستور الديمقراطي المشئوم لعام 1919، بعد إصابته بالأنفلونزا الاسبانية،

في السنوات ما بين الانتهاء من أطروحته والحصول على شهادة التأهيل التدريسية اهتم فيبر بالسياسة الاجتماعية المعاصرة، انضم عام 1888 إلى جمعية السياسة الاجتماعية، وهي جمعية مهنية جديدة للاقتصاديين الألمان المنتسبين إلى المدرسة التاريخية الذين رأوا دور الاقتصاد في المقام الأول كإيجاد حلول لمشاكل اجتماعية للعصر، كان أغلب منتسبي هذه الجمعية من رواد الدراسات الإحصائية المهتمة بالقضايا الاقتصادية، شارك فيبر أيضا في السياسة، فانضم إلى المؤتمر الاجتماعي الانجليزي اليساري، أنشأت

قدم عالم الاجتماع الألماني مجموعة متنوعة من المساهمات الأخرى في التاريخ الاقتصادي وفي المنهجية الاقتصادية، بل إن تحليله للحداثة والعقلانية أثر وبشكل كبير على النظرية النقدية المرتبطة بمدرسة فرانكفورت. كان فيبر بعد الحرب العالمية الأولى من

بين مؤسسي الحزب الديمقراطي الألماني الليبيرالي، كما ترشح أيضا لمقعد في البرلمان دون جدوى وعمل مستشارا للجنة التي صاغت دستور فايمار.

انتقل فيبر وزوجته ماريان وتكتب في بعض المصادر ماريا إلى مدينة فرايبورغ عام 1894 حيث عين فبر أستاذا للاقتصاد في جامعة "ألبرت لودفيغ" ، ثم عين في نفس المنصب في جامعة هايدلبرغ عام 1896، أصبح فيبر شخصية محورية فيما سمي حينها " دائرة فيبر" وهي الدائرة التي تكونت من عدد من المثقفين آخرين بمن فيهم زوجة فيبر نفسها السيدة ماريان و روبيرت ميشيلز، ظل فيبر نشطا في المؤتمر الإنجيلي الذي كان يعقد على مدى فترات متفرقة حينها والذي كان يناقش مواضيع متنوعة ومختلفة، لكنه ركز بحثه على الاقتصاد والتاريخ القانوني.

بعد إنتاجية فيبر الهائلة في أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر، لم ينشر أي أوراق بحثية بين أوائل عام 1898 وأواخر عام 1902، واستقال أخيرا من منصبه كأستاذ في أواخر عام 1903. بعد تحرره من كل هذه الالتزامات قبل ذلك العام منصب محرر مشارك في مجلة أرشيفات العلوم والرعاية الاجتماعية ، حيث عمل مع زميله إدغار جافي وفيرنر سومبارتن تحولت اهتمامات الرجل نحو القضايا الأكثر جوهرية في العلوم الاجتماعية، اعتبرت أعماله من هذه الفترة ذات أهمية أساسية للباحثين المعاصرين، بدأ فيبر عام 1904 في نشر بعض أوراقه الأكثر أهمية في هذه المجلة ولاسيما مقالته الشهيرة "الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية"، والتي أصبحت أشهر أعماله وأرست الأسس لأبحاثه اللاحقة حول تأثير الثقافات والأديان على تطوير النظم الاقتصادية، كان هذا المقال هو العمل الوحيد من أعماله في تلك الفترة والذي نشر ككتاب خلال حياته، كتب بعض أعماله الأخرى في أول عقد ونصف العقد من القرن العشرين وهي الأعمال التي نشر معظمها بعد وفاته كانت ترتكز وتفسر في مجالات علم اجتماع الدين وعلم الاجتماع الاقتصادي والقانوني وقد اعتبرت هذه الأعمال من بين أهم مساهماته الفكرية.

زار فيبر عام 1904 الولايات المتحدة حيث شارك في مؤتمر الفنون والعلوم الذي أقيم فيما يتعلق بالمعرض العالمي في سانت لويس، وضع نصب تذكاري لزيارته في منزل الأقارب الذين زارهم فيبر في ماونت إيري بولاية نورث كارولينا، على الرغم من تعافيه

الجزئي الواضح من المرض النفسي في أمريكا، فقد شعر فيبر أنه لم يكن قادرا على استئناف التدريس المنتظم في ذلك الوقت واستمر في العمل كعالم اجتماعي خاص وساعده الميراث الذي حصل عليه عام 1907 بخيبة أمل من جمعية السياسة الاجتماعية فشارك في تأسيس جمعية علم الاجتماع الألمانية وعمل كأول أمين خزينة لها، على الرغم من استقالته في عام 1912.

_ عالم السياسة:

حاول فيبر في وقت لاحق من عام 1912 تنظيم حزب سياسي يساري يضم الاشتراكيين الديمقراطيين والليبيراليين لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ويرجع ذلك جزئيا إلى أن العديد من والليبيراليين كانوا يخشون ما كان يعرف حينها بالثورية الاشتراكية الديمقراطية.

_ الحرب العالمية الأولى:

عند اندلاع الحرب العالمية الأولى تطوع فيبر – البالغ العمر 50 عاما– للخدمة فعين كضابط احتياطي مسئول عن تنظيم مستشفيات الجيش في مدينة "هايدلبرغ"، وهو الدور الذي قام به حتى نهاية عام 1915. تغيرت آراء ماكس حول الحرب وتوسيع الإمبراطورية الألمانية أثناء الصراع، دعم عالم الاجتماع الألماني في وقت مبكر الخطاب القومي والجهود الحربية، على الرغم من بعض التردد، فنظر إلى الحرب على أنها ضرورة للوفاء بالواجب الألماني كقوة دولة رائدة. لكن وبمرور الوقت أصبح فيبر أحد أبرز منتقدي التوسع الألماني وسياسات فيلهلم الثاني، هاجم فيبر علنا خطة شليفن وحرب الغواصات المفتوحة، ودعم لاحقا الدعوات للإصلاح الدستوري والديمقراطية والاقتراع العمومي.

_ ما بعد الحرب العالمية الأولى:

انضم فيبر إلى مجلس العمال والجنود في هايدلبرغ في عام 1918، وكان أحد أفراد الوفد الألماني الذي أرسل إلى مؤتمر باريس للسلام كما همل مستشارا للجنة السرية للإصلاح الدستوري التي صاغت دستور "فايمار"، بدافع من فهمه للنموذج الأمريكي، دعا ماكس فيبر إلى رئاسة قوية منتخبة شعبيا كموازنة دستورية لسلطة البيروقراطية منتخبة شعبيا كموازنة دستورية لسلطة البيروقراطية المهنية، الأمر الأكثر إثارة للجدل هو أنه دافع أيضا عن أحكام السلطات الرئاسية الطارئة التي أصبحت المادة 48 من دستور فايمار. استخدم أدولف هيتلر هذه الأحكام لاحقا لتقويض بقية الدستور وإرساء حكمه الجديد وهو ما سمح لنظامه بقمع المعارضة واكتساب سلطات ديكتاتورية.

ترشح فيبر في الانتخابت البرلماني وذلك للحصول على مقعد برلماني حيث ترشح كعضو عن الحزب الديمقراطي الألماني الليبيرالي الذي كان قد شارك في تأسيسه لكنه فشل في الفوز بما كان يريد. عارض فيبر كل من الثمرة الألمانية اليسارية سنة1918 –1919 والتصديق على معاهدة فيرساي، وهي مواقف مبدئية تبناها الحزب الديمقراطي الاجتماعي في ذلك الوقت، وهي المواقف التي ربما منعت فريديريس إيبرت رئيس الحزب الحاكم في تعيين فيبر وزيرا أو سفيرا على الأقل.

حظي فيبر باحترام واسع النطاق ولكن تأثيره كان ضئيلا نسبيا، والجدير بالذكر هنا أن دور فيبر في السياسة الألمانية لا يزال موضوعا يثير الكثير من الجدل حتى يومنا هذا.

في نقد فيبر لليسار، اشتكى من زعماء رابطة سبارتاكوس اليسارية بقيادة كارل ليبكنخت و روزا لكسمبورغ، اللذان سيطرا على حكومة مدينة برلين، بينما كان فيبر يناضل من أجل حزبه. كان فيبر في الوقت نفسه ينتقد معاهدة فيرساي، التي كان يعتقد أنها وجهت بشكل غير عادل ذنب الحرب لألمانيا، حيث اعتقد فيبر أن العديد من الدول كانت مذنبة ببدئها تلك النزاعات وليس فقط ألمانيا.

في وقت لاحق وبعد هزيمة فيبر في الانتخابات، ألقى عالم الاجتماع واحدة من أعظم محاضراته الأكاديمية بعنوان " السياسة بوصفها حرفة" والتي تحدث فيها عن العنف المتأصل والخداع الذي رآه بين السياسيين حتى صار هذا العنف والخداع بمثابة مهنة أو

وظيفة بالنسبة لهم، ختم فيبر محاضرته بحديث عن طبيعة السياسيين، حيث وصفهم بأكياس ريح منتفخة بالهواء، يشعرون بالعبء الذي يتعين عليهم تحمله، إنهم يسكرون أنفسهم بأحاسيس رومنسية.

بعدما أحبط فيبر في السياسة استأنف التدريس، حيث عاود التعليم بداية في جامعة فيينا، ثم بعد سنة 1919 في جامعة ميونيخ جمعت محاضراته تلك الفترة في كتب رئيسية صدرت تحت عناوين مختلفة ومتنوعة على غرار كتاب التاريخ الاقتصادي العام. وكتاب السياسة بوصفه حرفة، ثم ترأس في مدينة ميونيخ أول معهد جامعي ألماني لعلم الاجتماع، لكنه لم يشغل منصب أستاذ في هذا المعهد. هاجم أيضا العديد من الزملاء والطلاب في ميونيخ نظرة فيبر للثورة الألمانية بينما نظم بعض الطلاب اليمينيين احتجاجات أمام منزله.

أصيب ماكس فيبر في الرابع عشر من يونيو بالأنفلونزا الإسبانية وتوفي بسبب ذات الرئة في ميونيخ، لم يكن فيبر في وقت وفاته قد انتهى من كتابه حول النظرية الاجتماعية بعنوان الاقتصاد والمجتمع، وقد ساعدت أرملته ماريان في إصداره عام 1921-1922.

3 _ منهجية ماكس فيبر:

بالنسبة لماكس فيبر فإن علم الاجتماع هو علم يحاول الفهم التفسيري للفعل الاجتماعي من أجل الوصول إلى تفسير سببي لمساره وتأثيره.أوضح فيبر في منهجيته أنه ميز نفسه عن دوركايم وماركس وغيرهما من الشخصيات الكلاسيكية، وذلك لأنه ركز أولا على الأفراد والثقافة، وثانيا لأنه ركز أولا غلى الأفراد والثقافة، وثانيا لأنه على عكس المنظرين مثل كونت و دوركايم، لم يحاول بوعي إنشاء أي مجموعة محددة من القواعد التي تحكم علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية بشكل عام، لقد ركز دوركايم على المجتمع، في حين ركز فيبر على الفرد وأفعاله أي البنية والفاعلية، دافع ماركس في المقابل عن أسبقية العالم المادي على عالم الأفكار على أنها أفعال تحفيزية للفرد.

اهتم فيبر في المقام الأول بمسألة الموضوعية والذاتية، وميز الفعل الاجتماعي عن السلوك الاجتماعي، مشيرا إلى أن الفعل الاجتماعي يجب أن يفهم من خلال كيفية ارتباط الأفراد بعضهم البعض بشكل ذاتي، يجب أن تستند دراسة الفعل الاجتماعي حسب فيبر

على الوسائل التفسيرية لفهم المعنى والغرض الذي يربطه الأفراد بأفعالهم، قد يكون للأفعال الاجتماعية وسائل موضوعية يمكن تحديدها بسهولة، ولكن هناك غايات أكثر ذاتية، وفهم هذه الغايات من قبل العالم يخضع لطبقة أخرى من الفهم الذاتي، أشار فيبر إلى أن أهمية الذاتية في العلوم الاجتماعية تجعل إنشاء قوانين عالمية خادعة أكثر صعوبة مما هو عليه في العلوم الطبيعية وأن مقدار المعرفة الموضوعية التي قد تحققها العلوم الاجتماعية محدودة مما هو عليه في العلوم الطبيعية وأن مقدار المعرفة الموضوعية قد تحققها العلوم الاجتماعية بشكل محفوف بالمخاطر.

أيد فيبر بشكل عام هدف العلم الموضوعي باعتباره هدفا يستحق السعي لتحقيق بالتأكيد، على الرغم من أنه أشار إلى أنه هدف لا يمكن الوصول إليه في النهاية. بالتالي يمكن وحسب فيبر إرجاع مبدأ الفردية المنهجية، الذي ينص على أن علماء الاجتماع يجب أن يسعوا إلى فهم الجماعات مثل الأمم، والثقافات والحكومات والكنائس والشركات إلى غير ذلك فقط كنتيجة وسياق تصرفات الأفراد، لاسيما في الفصل الأول من كتاب "الاقتصاد والمجتمع"، حيث يجادل العالم الألماني بأن الأفراد فقط يمكن معاملتهم كفاعلين في مسار تعملي يمكن فهمه ذاتيا، وقد أكد فيبر بعبارة أخرى أن الظواهر الاجتماعية يمكن فهمها علميا فقط إلى الحد الذي يتم فيه التقاطها من خلال نماذج سلوك الأفراد الهادفين التي تنحرف عنها الأحداث التاريخية الفعلية بالضرورة بسبب عوامل عرضية وغير منطقية، لا توجد تركيبات تحليلية للنوع المثالي أبدا في الواقع، لكنها حسب فيبر توفر دائما معايير موضوعية يمكن على أساسها قياس بنى الحياة الواقعية.

طورت منهجية فيبر في سياق نقاش أوسع حول منهجية العلوم الاجتماعية، لقد كان موقف فيبر في الواقع قريبا مما يعرف بالتاريخية، حيث أدرك أن الحياة الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بسياقات تاريخي معينة، ويتطلب تحليلها فهم الدوافع الذاتية للأفراد أي الفاعلين الاجتماعيين، وهكذا تؤكد منهجية فيبر على استخدام التحليل التاريخي المقارن، كان فيبر على هذا النحو مهتما أكثر بشرح كيف أن نتيجة معينة كانت نتيجة لعمليات تاريخية مختلفة بدلا من التنبؤ بنتيجة تلك العمليات في المستقبل.

4_ النموذج البيروقراطي (العقلاني):

تحاول نظرية ماكس فيبر للبيروقراطية والمعروفة أيضا باسم النموذج العقلاني القانوني، تفسير البيروقراطية من وجهة نظر عقلانية، جادل فيبر بأن البيروقراطية تقوم على المبدأ العام المتمثل في تحديد الكفاءات الشاملة والمنظمة بدقة للمكاتب المختلفة والتي تستند إلى قواعد أو قوانين أو لوائح إدارية. ويشير فيبر على وجه الخصوص إلى ثلاثة جوانب تشكل جوهر الإدارة البيروقراطية في القطاع العام و هي:

- إنشاء تقسيم صارم للعمل الذي يحدد بوضوح المهام والواجبات العادية للنظام البيروقراطي المعين
- وجوب لوائح تصف سلاسل القيادة الراسخة والواجبات والقدرة على إجبار الآخرين على الامتثال.
- توظيف الأشخاص ذوي المؤهلات المعتمدة الخاصة ما يدعم التنفيذ المنتظم والمستمر للمهام الموكلة.

يشرح فيبر البيروقراطية من خلال تسع خصائص رئيسية وهي:

أ- الأدوار المخصصة

ب- التوظيف على أساس الجدارة

ت- المبادئ الموحدة للتنصيب والترقية والنقل في النظام الإداري

ث- هيكل رواتب منهجي

ج- التسلل الهرمي والمسؤولية والمساءلة

ح- إخضاع السلوك الرسمي لقواعد الانضباط والرقابة الصارمة

خ- سيادة القواعد المجردة

د- سلطة غير شخصية

ذ- الحياد السياسي

_ فوائد البيروقراطية:

لاحظ فيبر أن البيروقراطية الحقيقية أقل فعالية من نموذجه المثالي، يمكن أن يتدهور كل مبدأ من مبادئ فيبر، خاصة عند استخدامه لتحليل المستويات الفردية في المؤسسة،

ومع ذلك عند تنفيذ هذه المبادئ التي صاغها العالم الألماني في إطار مجموعة أو نظام، يمكن تحقيق شكل من أشكال الكفاءة والفعالية، لاسيما فيما يتعلق بإنتاج أفضل، يصبح هذا صحيحا بشكل خاص عندما يؤكد النموذج البيروقراطي على المؤهلات والتخصص في نطاق العمل أي حسب الوظيفة الممارسة، والتسلل الهرمي للسلطة والقواعد ومدى الانضباط، وهي المبادئ التي صاغها فيبر وفصل فيها خلال أعماله.

_ ضعف البيروقراطية:

يمكن أن تكون الكفاءة والفعالية غير واضحة ومتناقضة، خاصة عند التعامل مع الأمور المبسطة، ففي بيروقراطية مجردة من الإنسانية حيث يتعين على كل عامل أن يتخصص من اليوم الأول دون تناوب مهام، خوفا من انخفاض الإنتاج ستكون المهام روتينية ويمكن أن تساهم في زيادة الملل، وبالتالي قد يشعر الموظفون أحيانا أنهم ليسوا جزء من رؤية عمل المنظمة ورسالتها، وعليه تناقص الشعور بالانتماء على المدى الطويل، علاوة على ذلك يميل هذا النوع من التنظيم إلى التقليل من إمكانيات الموظفين ولو بشكل غير مباشر، حيث يتم تجاهل إبداع العمال لصالح الالتزام الصارم بالقواعد واللوائح والإجراءات.

_ الترشيد:

وصف العديد من العلماء الترشيد ومسألة الحرية الفردية في مجتمع عقلاني بشكل متزايد كموضوع رئيسي لعمل فيبر، وضعت هذه المصطلحات في السياق الكبر للعلاقة بين الدوافع النفسية والقيم والمعتقدات الثقافية والدين بشكل رئيسي، وهيكل المجتمع الذي كثيرا ما يحدده الاقتصاد، فهم فيبر الترشيد أولا على أنه حساب التكلفة والعائد الفردي، كما اعتبره أحد مكونات التنظيم البيروقراطي الأوسع للمنظمات.

بدأ فيبر دراساته وأبحاثه عن هذا الموضوع في كتابه ا"الأخلاق البروتيستانتية وروح الرأسمالية"، حيث قال أن إعادة تعريف العلاقة بين العمل والتقوى في البروتستانتية وخاصة

في طوائفها الزهدية، لاسيما الكالفينية، قد حولت الجهد البشري نحو الجهود العقلانية الهادفة، يتم التعبير عن التقوى تجاه الله في الديانة البروتستانتية من خلال الدعوة العلمانية للفرد، كما يقول فيبر، بل جادل بأن الجذور العقلانية لهذه العقيدة سرعان ما نمت بشكل غير متوافق مع الدين بل وأكبر منه، وبالتالي أهمل الأخير في النهاية.

واصل فيبر تحقيقه في هذه المسألة في أعماله اللاحقة، لاسيما في دراساته حول البيروقراطية وتصنيفه السلطة الشرعية إلى ثلاثة أنواع: العقلانية القانونية والتقليدية والكاريزمية، ويرى أن السلطة العقلانية القانونية هي المسيطرة في العالم الحديث، وصف فيبر في بعض أعماله ما رآه في حركة المجتمع نحو العقلنة، وبالمثل يمكن رؤية ترشيد الاقتصاد، مع تطور رأسمالية عالية العقلانية، كما رأى فيبر أيضا أن الترشيد هو أحد العوامل الرئيسية التي تميز الغرب الأوروبي عن بقية العالم، لقد اعتمد الترشيد على تغييرات عميقة في الأخلاق والدين وعلم النفس والثقافة، وهي التغييرات التي حدثت أول مرة في الحضارة الغربية.

إن ما يصوره فيبر لم يكن مجرد علمنة للثقافة الغربية، بل كان أيضا وبشكل خاص تور المجتمعات الحديثة من وجهة نظر الترشيد، تميزت الهياكل الجديدة للمجتمع من خلال التمايز بين نظامي التشابك الوظيفي اللذان تم تشكيلهما حول النوى التنظيمية للمشروع الرأسمالي وجهاز الدولة البيروقراطي، لقد فهم فيبر هذه العملية على إنهاء إضفاء الطابع المؤسسي على العمل الاقتصادي والإداري الهادف والعقلاني، لدرجة أن الحياة اليومية تأثرت بهذا التبرير الثقافي والمجتمعي، وأشكال الحياة التقليدية، التي كانت في أوائل العصر الحديث متمايزة بشكل أساسي وفقا للتجارة الفردية قد تم حلها.

تشمل ميزات الترشيد زيادة المعرفة وتحسين السيطرة على الحياة الاجتماعية والمادية، وقد كان فيبر مترددا تجاه الترشيد، بينما اعترف أن هذا المفهوم كان مسئولا عن العديد من التطورات، وعلى وجه الخصوص تحرير البشر من المبادئ التوجيهية الاجتماعية التقليدية والمقيدة وغير المنطقية، فقد انتقده أيضا لتجريد الأفراد من إنسانيتهم باعتبارهم تروسا في الآلة كما يرى، وتقليص حريتهم أيضا، ثم حبسهم في القفص البيروقراطي الحديدي للعقلانية والبيروقراطية، تتعلق بالعقلنة عملية خيبة أمل كما رأى فيبر، بحيث يصبح العالم أكثر شرحا

و وضوحا وأقل تصوفا وروحانية، حيث ينتقل من الأديان متعددة الآلهة إلى الديانات التوحيدية وأخيرا إلى العلم اللاإلاهي للحداثة.مع ذلك فإن تفسيرا آخر لنظرية فيبر عن خيبة الأمل، قدمه المؤرخ في علم الأديان جيسون جوزيفسون ستورم، يدعي أن فيبر لا يتصور ثنائية بين العقلانية والتفكير السحري، وأن فيبر أشار في الواقع إلى عزل السحر وإضفاء الطابع المهني عندما وصف خيبة الأمل، بالنسبة لفيبر فإن عمليات الترشيد والعقلنة تؤثر على المجتمع بأسره، وتزيل القيم السامية من الحياة العامة وتجعل الفن أقل إبداعا، في نقد بائس للعقلانية، يلاحظ فيبر أن المجتمع الحديث هو نتاج دافع فردي للإصلاح، ولكن في نفس الوقت فإن المجتمع الذي تم إنشاؤه في هذه العملية أقل ترحيبا بالفردانية.

5_ علم اجتماع الدين:

بدأ عمل ماكس فيبر في علم الاجتماع الديني بمقاله المعنون بالأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية واستمر في تحليلاته في دين الصين والهند واليهودية القديمة، ومع ذلك فقد توقف عمله وبحثه في موضوع الديانات الأخرى بسبب وفاته المفاجئة سنة 1920، وهذا ما منعه من دراسة الدين المسيحي والإسلامي بعد ذلك حيث كان قد أنهى دراسته في اليهودية، كانت الموضوعات الرئيسية الثلاثة في المقالات في تلك الفترة تتمحور أساسا حول تأثير الأفكار الدينية على الأنشطة الاقتصادية وعن العلاقة بين التقسيم الطبقي الاجتماعي والأفكار الدينية وكذا عن السمات المميزة للحضارة الغربية.

رأى فيبر أن الدين هو أحد القوى الأساسية في المجتمع، بل كان هدفه من وراء دراسته هو أيجاد أسباب لمسارات التطور المختلفة لثقافات الغرب والشرق دون الحكم عليها أو تقييمها، مثل بعض المفكرين المعاصرين الذين اتبعوا النموذج الدروويني الاجتماعي، لقد أراد فيبر في المقام الأول شرح العناصر المميزة للحضارة الغربية، وأكد أن الأفكار الدينية الكالفينية كان لها تأثير كبير على الابتكار الاجتماعي وتطوير النظام الاقتصادي في الغرب، لكنه أشار إلى أنها لم تكن العوامل الوحيدة في هذا التطور، من بين العوامل البارزة الأخرى التي ذكرها فيبر عقلانية السعي العلمي، والدمج للملاحظة مع الرياضيات، والفقه، والتنظيم العقلاني والبيروقراطية للإدارة الحكومية والمشاريع الاقتصادية.

اقترح فيبر أيضا نموذجا تطوريا اجتماعيا للتغيير الديني، موضحا أنه وبشكل عام فقد انتقلت المجموعات من السحر إلى تعدد الآلهة، ثم إلى وحدة الوجود والتوحيد وأخيرا التوحيد الأخلاقي، حدث هذا التطور وفقا لفيبر لأن الاستقرار الاقتصادي المتزايد سمح باحتراف وتطور كهنوت أكثر تعقيدا من أي وقت مضى، ومع ازدياد تعقيد المجتمعات واشتمالها على مجموعات مختلفة، تطور التسلسل الهرمي للآلهة، ومع زيادة مركزية السلطة في المجتمع أصبح مفهوم إله واحد عالمي أكثر شعبية ومرغوبا فيه.

6- فيبر في الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية:

يحاول "ماكس فيبر" في مؤلفه الشهير الذي نشره للمرة الأولى في مطلع القرن العشرين« الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية» أن يفسر واحدة من القضايا الجوهرية: لماذا نشأت الرأسمالية في الغرب دون غيره من بقاع العالم؟ لقد نشأت و ازدهرت حضارات ومدنيات راقية ومتقدمة خلال القرون الثلاثة عشر التي تبعت سقوط روما القديمة في الوقت الذي كانت فيه أوربا تحتل منزلة متواضعة في التاريخ البشري، فيما كانت حضارات الصين والهند و الشرق الأوسط، تتقدم الغرب في مجالات العلوم و النماء الاقتصادي، فما الذي حفز أوربا إلى أن تتصدر موقعا طليعيا متقدما من القرن السابع عشر؟

للإجابة على هذا السؤال يرى فيبر أنه يجب أن تتبين الكيفية التي تميزت بها الصناعة الحديثة عن أطوار سابقة، من النشاط الاقتصادي،وصحيح أن الحضارات الكبرى السابقة قد جمعت ثروات هائلة، وكانت الشعوب حريصة على إعلاء منشات الثروة المادية والتمتع بها، واستخدامها لأغراض الأمن، وتعظيم السلطة والقوة الاقتصادية والعسكرية.

غير أن النمو الاقتصادي اتسم في الغرب بسمات فريدة يطلق عليها ماكس فيبر اسم "الروح الرأسمالية" وهي منظومة من المعتقدات والقيم التي حملها أوائل التجار والصناعيين الرأسماليين، فقد حرص هؤلاء آنذاك على تجميع الثروة التراكمية بالفعل غير ان أسلوب حياتهم أقرب إلى التقشف، وبدلا من تبديد ما لديهم من ثروات، أثروا إعادة استغلالها

واستثمارها للتوسع والتطوير في مشروعاتهم التجارية والاقتصادية، ويعتقد فيبر أن أصول التوجه الكامنة في روح التطور إلى الرأسمالية، إنما تكمن في الدين، و في توجه ديني محدد وهو المذهب البيوريتاني التطهري في البروستنتانتية.

كان أيضا للولاء الديني المسيحي تاريخا مصحوبا برفض الشؤون الدنياوية ، بما في ذلك السعي الاقتصادي حيث أظهر فيبر أنواعا من البروتستانتية ولاسيما الكالفينية، كانوا داعمين للسعي العقلاني لتحقيق مكاسب اقتصادية وأنشطة دنيوية مكرسة لذلك، معتبرين إياهم يتمتعون بأهمية أخلاقية و روحية، جادل فيبر بأن هناك العديد من الأسباب للبحث عن أصول الرأسمالية الحديثة في الأفكار الدينية للإصلاح، حفزت الأخلاق البرتستانتية المؤمنين على العمل الجاد والنجاح في الأعمال التجارية وإعادة استثمار أرباحهم في مزيد من التطور بدلا من الملذات التافهة.

إن مفهوم الدعوة يعني أن على كل يتخذ إجراء كمؤشر على خلاصة، فمجرد أن تكون عضوا في الكنيسة لم يكن كافيا، لقد برر المؤمنون السعي وراء الربح في الدين،فبدلا من أن يغذيها الجشع أو الطموح المشكوك فيه أخلاقيا، كانت أفعالهم مدفوعة بفلسفة أخلاقية ومحترمة للغاية، سمى فيبر هذا السعي باسم "رتح الرأسمالية" فقد كانت الأيديولوجية الدينية البروتستانتية وراء النظام الاقتصادي الرأسمالي، غالبا ما ينظر إلى هذه النظرية على أنها انعكاس لأطروحة كارل ماركس القائلة بأن القاعدة الاقتصادية للمجتمع تحدد جميع جوانبه الأخرى.

تخلى فيبر عن البحث في البروتستانتية حيث بدأ زميله "إرنست ترويلتش"، وهو عالم لاهوت مخضرم، العمل على كتاب "التعاليم الاجتماعية للكنائس والطوائف المسيحية، وهناك سبب آخر لقرار فيبر وهو أن عمل زميله قد حقق فعلا ما كان يرغب فيه في هذا المجال، وضع الأساس لتحليل مقارن للدين والمجتمع، إن عبارة أخلاقيات العمل المستخدمة حيثا هي عبارة مشتقة من فكرة "الأخلاق البروتستانتية" التي ناقشها فيبر وقد تم تبني هذا المصطلح عندما عممت فكرة الأخلاق البروتستانتية لتطبيقها على اليابانيين واليهود وغيرهم من غير المسيحيين وبالتالي فقدت دلالاتها الدينية.

7_ الطبقات الاجتماعية:

صاغ فيبر من جهة أخرى نظرية من ثلاث مقومات للتدرج الطبقي، مع الطبقة الاجتماعية والوضع الاجتماعي والحزب السياسي كعناصر متميزة من الناحية المفاهيمية، تتناقض نظرية التقسيم الطبقي المكونة من ثلاثة عناصر مع نط

ظرية كارل ماركس البسط للطبقة الاجتماعية التي تربط كل الطبقات الاجتماعية بما يمتلكه الناس وفي نظرية فيبر قضايا الشرف والمكانة الاجتماعية مهمة، وصف هذا التمييز بوضوح في مقال فيبر "الطبقات والحزب" والذي نشر لأول مرة في كتابه الاقتصاد والمجتمع، المكونات أو المقومات الثلاثة لنظرية فيبر هي:

- الطبقة الاجتماعية: بناء على العلاقة المحددة اقتصاديا بالسوق (المالك، المستأجر، الموظف إلى غيرهم)
- الحالة الاجتماعية: بناء على صفات غير اقتصادية مثل الشرف الدين.
- الحزب: الانتماءات السياسية.

وجميع هذه الأبعاد الثلاثة لها عواقب على ما أسماها فيبر فرص الحياة، قد يحصل خلط بين الكلمتين "الطبقة" و "الحالة" مع أن المعنيين يختلفان في تعريف فيبر لهما.

8_ كتاب: مقالات في علم الاجتماع الاقتصادي:

هو كتاب جمع فيه "ريتشارد سويدبرغ" مقالات وضعها عالم الاجتماع الألماني، وصدر بالانجليزية عام 1999، يشير تقديم الكتاب إلى أن كتابات ماكس فيبر تحتوي على إحدى أكثر المحاولات تطورا وجاذبية لإنتاج علم اجتماع اقتصادي، وقد اختار عالم الاجتماع الاقتصادي "ريتشارد سويدبرغ"، الأهم من كتاباته الكثيرة، وجعلها متاحة أول مرة في كتاب واحد، فانتظمت مختارات كتابه حول الموضوعات التالية: الرأسمالية الحديثة وعلاقتها بالسياسة، القانون، الثقافة والدين. مع قسم مخصص ل[لوجه النظرية لعلم الاجتماع الاقتصادي. وتوضح المقدمة أنه بالرغم من أن أعمال فبر كتبت قبل نحو قرن من اليوم، فإنها تحمل خاصية الأصالة الكلاسيكية، وسيجد القارئ فيها أفكارا اقتصادية عدة لا تزال تنطبق على عالمنا الراهن، منها مناقشته ما نسميه اليوم " رأس المال الاجتماعي"، وتحليله

المؤسسات المطلوبة لتأمين حسن سير الاقتصاد الرأسمالي، ومحاولته الأكثر عمومية لإدخال البنية الاجتماعية في التحليل الاقتصادي.

يبين الكتاب أن ما حفز فيبر على بحثه في علم الاجتماع الاقتصادي هو الانجاز الذي يتشارك فيه اليوم الاقتصاديون وعلماء اجتماع كثر: يجب أن يتضمن دليل الظاهرة الاقتصادية فهما للبعد الاجتماعي، وبفضل المنهجية التي اتبعها "سويدبر" محرر الكتاب، يكتشف قارئ هذه المختارات الأهمية والصلة الدائمة لمساهمة فيبر في علم الاجتماع الاقتصادي. يتم تمثل آراء فيبر الموضوعية حول علم الاجتماع الاقتصادي في هذا الكتاب من خلال مقتطفات مهمة من أعمال مثل "تاريخ الاقتصاد العام"و "الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية، التي تضيء محاولاته في بناء أساس مفاهيمي لعلم الاجتماع الاقتصادي، كما يتضمن الكتاب محاضرته الافتتاحية في فرايبورغ عام 1896، إلى جانب عدد من الكتابات المركزية.

يناقش القسم الأول "الرأسمالية الحديثة"، مسائل تتعلق بدور السلطة في ضبط الأسواق، والأسرة بوصفها أقدم وحدة تدعم نشاطا تجاريا مستمرا في كل مكان، بينما يتناول القسم الثاني، "الرأسمالية والقانون والسياسة"، نظرية الهيمنة عند فيبر، والبيروقراطية كضرورة في الدولة الحديثة، ويقدم القسم الثالث، "الرأسمالية والثقافة والدين، أفكارا تتصل بتأثير تصورات الدين على الاقتصاد، فيما يحلل القسم الرابع الجوانب النظرية لعلم الاجتماع الاقتصادي بعض أبسط العلاقات الاجتماعية في المجال الاقتصادي.

9_ التفكير العقلاني و الترشيد:

تزامن ظهور المجتمع مع بروز تغيرات مهمة في أنماط الفعل الاجتماعي، لقد أخذ الناس في تلك الفترة بالتحول عن المعتقدات التقليدية التي ترتكز على الشعوذة والدين و العادات والمواضع الاجتماعية، وبدأ الأفراد عوضا عن ذلك يتبنون أساليب التفكير العقلاني والترشيد والحساب التي تأخذ بالاعتبار معايير الكفاءة وتوقعات المستقبل، ولم يكن في المجتمعات الصناعية متسع للعواطف أو للاستمرار في القيام بأعمال معينة لمجرد أن الآخرين قد درجوا على انتهاجها في الماضي لأجيال عديدة. وقد أطلق فيبر اسم الترشيد

العقلاني على تنمية العلوم،ويعني الترشيد العقلاني في هذا السياق تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية، انطلاقا من مبادئ الكفاءة المرتكزة إلى المعرفة التقنية، ففي حين كان الدين والعادات المتوارثة هي التي تقوم بالدور الأساسي في تحديد ما يحمله الناس من قيم واتجاهات في المجتمعات التقليدية، أخذ المجتمع الحديث يتميز بالترشيد العقلاني المتزايد لمجالات الحياة بما فيها الأنشطة السياسية والدينية والاقتصادية، لذلك كانت الثورة الصناعية وتنامي الرأسمالية في نظر فيبر مؤشرا على توجه واسع نحو الترشيد.

وما يميز الرأسمالية ليس الصراع الطبقي كما اعتقد ماركس، بل تطور العلوم والبيروقراطية، أي المؤسسات الضخمة، وكان فيبر يرى أن الطبيعة العلمية للغرب هي أبرز السمات التي تميز تلك المجتمعات،وكان يعتقد أيضا أن البيروقراطية باعتبارها السبيل الوحيد لتنظيم أعداد ضخمة من الناس على أساس الكفاءة.

تتسع مع تصاعد النمو الاقتصادي والثقافي، واستخدم فيبر اصطلاح "إبطال السحر" ليصف الطريقة التي اكتسح فيها التفكير العلمي في المجتمعات الحديثة تيارات التعاطف الوجداني التي كانت سائدة في الماضي.

10_ المنظورات الحديثة في علم الاجتماع:

كان ما يجمع رواد علم الاجتماع الأوائل هو الرغبة في استكناه المعاني الكامنة في التغيرات التي طرأت على مجتمعاتهم،و قد سعى هؤلاء إلى تجاوز التفكير المجرد والمضي إلى ما هو أبعد من تفسير الأحداث الجسيمة في تلك الفترة،وفوق هذا وذاك فإنهم سعو إلى تطوير الوسائل الكفيلة بدراسة العالم الاجتماعي وتفسير أنشطة المجتمعات عموما و إدراك طبيعة التغير الاجتماعي.

غير أن دوركايم وماركس و فيبر كما رأينا انتهجوا سبلا مختلفة لدراسة العالم الاجتماعي، ففي الوقت الذي ركز فيه دوركايم وماركس على قوة المؤثرات الخارجية في الفرد، انطلق فيبر من قدرة الفرد على التأثير بصورة خلاقة في العالم الخارجي، و فيما أشار ماركس إلى هيمنة القضايا الاقتصادية، توسع فيبر في دراسة مجموعة العوامل المهمة الأخرى، واستمرت وتواصلت هذه الاختلافات في أساليب المقاربة عبر تاريخ علم

الاجتماع،وحتى عندما يتفق علم الاجتماع على موضوع التحليل، فإنهم يقومون بعملية التحليل من خلال زوايا نظرية مختلفة.

وترتبط بكل من دوركايم وماركس و فيبر على التوالي ثلاثة من الاتجاهات النظرية الحديثة و هي: المدارس الوظيفية،و الصراعية، والتفاعلية الرمزية، وسنتطرق في هذا الكتاب إلى بعض الحجج والأفكار التي توضح هذه الاتجاهات النظرية.

الشكل رقم(1-1)

مناهج نظرية في علم الاجتماع

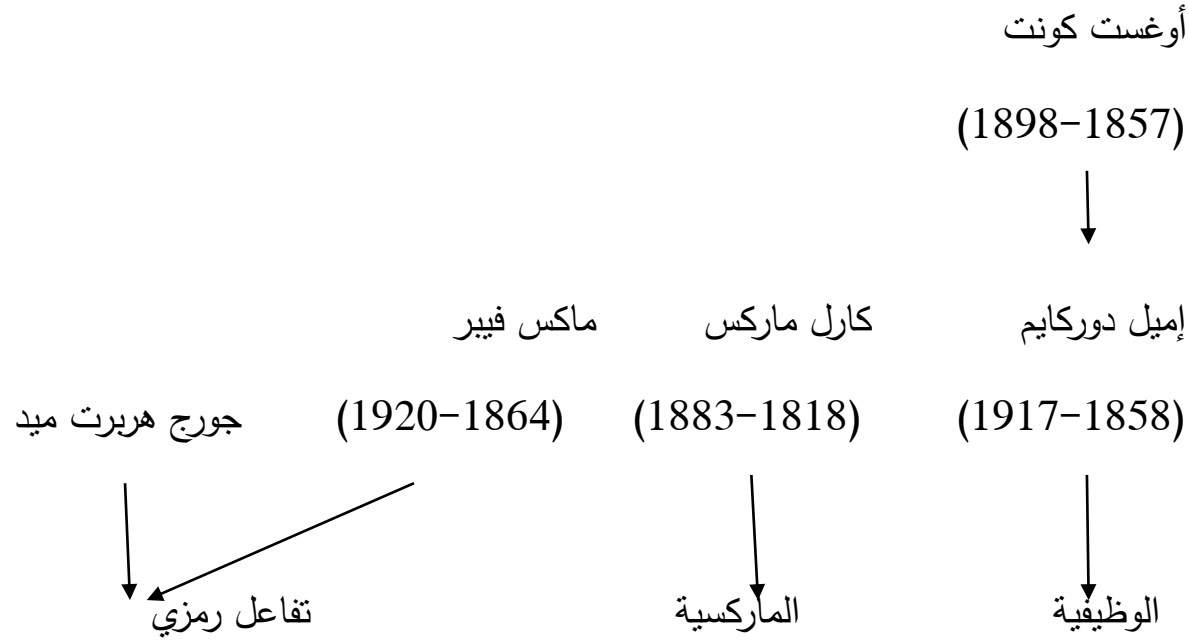

تشير الخطوط غير المتقطعة إلى تأثير مباشر بينما تشير الخطوط المتقطعة إلى ربط غير مباشر، فجورج هيربرت ميد لا يدين لماكس فيبر بشيء،إلا أن رؤى هذا الأخير التي ترتكز على أهمية طبيعة العمل الإنساني القصدي على ألفة مع مواضيع التفاعل الرمزي، بينما تبقى الوظيفية هي النظرية السوسيولوجية الأقدم

التي تعمل على المحافظة الدائمة على النظام باعتبارها لم تول اهتماما للتغير الاجتماعي وأهميته ، عكس كارل ماركس الذي تبنى مفهوم التغير من منظور الصراع. وهكذا يتبين لدينا الثراء النظري في علم الاجتماع وأهمية كل النظريات باختلاف توجهاتها.

كأي عالم لا يمكن فهم أفكار فيبر دون فهم المناخ الاجتماعي والعلمي والسياسي السائد في عصره، وهنا فقد وجد فيبر أفكار ماكس وكانت شائعة، واطلع على إسهامات "تونيز و زيمل" أيضا. وقد حاول فيبر أن يضيق الفجوة بين العلم الطبيعي، والعلم الروحي، وهنا فرق بين طبيعة العلوم الاجتماعية، والعلوم الطبيعية إذا ما كانت مهمة الوصول إلى الضبط الكامل، فإن مهمة العلوم الاجتماعية هي التقويم، ولذلك يتعين على العلوم الاجتماعية أن تدرس القيم، وألا تفصل بينها وبين المعايير والمثاليات التي تشتق منها موجهات ضبط السلوك الواقعي. ويتطلب الأمر أن يكون العلم الاجتماعي علما أمبريقيا واقعيا يدرس الوقائع الملموسة، ولقد كان لأفكار فيبر هذه تأثيرا كبيرا على فكره وبحوثه، فلم يهتم بتقديم تعميمات تنسحب على كل المجتمعات ولكنه قصر اهتمامه وتعميماته على المجتمع الذي يعيش فيه، على الرغم من أنه في حالات أخرى قدم تحليلات أوجد لها تطبيقات في ثقافات أخرى.

أجرى فيبر دراسات مقارنة مكنته من الاعتقاد في إمكانية ظهور علم الاجتماع العام، وظهر ذلك جليا في كتابه الاقتصاد والمجتمع، ولذلك يمكن القول بأن أفكاره الأولى لم تكن متعارضة مع جوهر أفكاره في السنوات الأخيرة بل يمكن النظر إليها على أنها تمهيد لأفكاره الناضجة المتأخرة. وفي استحالة التوفيق بين العلوم الطبيعية، ذهب إلى إمكانية تحقيق أعلى مستوى لفهم الظواهر الاجتماعية، بشرط أن يكون هذا الفهم سببا ملائما على مستوى المعنى، وهنا يثير تساؤلات ثلاثة:

_ ما هو الفهم السببي الملائم؟

_ ما هو الفهم الملائم ذو المعنى؟

_ وكيف نربط بين الاثنين؟

أولا: الفهم السببي:

يقول فيبر في مجال إجابته على هذا السؤال السببي، أن تفسير الأحداث يكون سببا بدرجة ملائمة إذا توصلنا من خلال الملاحظة إلى تعميم يؤكد تتابع الأحداث بنفس الطريقة، وهذا يجب أن يستند إلى سبب إحصائي بقدر الإمكان، وإذا تعذر الإحصاء يجب اللجوء إلى المقارنة.

لقد استخدم فيبر المقارنات التاريخية وتحليلاتها بشكل واسع فحاول اختبار صدق القضية التي تقوم عليها الماركسية وهي كون الاقتصاد هو أساس تفسير كل الظواهر بما فيها الثقافية والدينية، حيث يذهب فيبر إلى أن الإصلاح البروتيستانتية كان ناتجا عن ظهور الرأسمالية، ولكن حينما قرر فيبر اختبار هذا الفرض حصل على نتائج مختلفة. حيث يقول أن الرأسمالية عبارة عن مشروعات هادفة إلى الربح، وترتبط فيما بينها بعلاقات سوقية، والرأسمالية بهذا المعنى نمت وازدهرت في أماكن كثيرة عبر التاريخ، ولكن الرأسمالية الحديثة شيء مختلف فهي تتميز بالطابع العقلي الرشيد للعمل الحر، ومن هنا ينتقل إلى الرأسمالية الحديثة كانت نتاجا لظهور البروتيستانتية، خاصة الكالفينية، ويفترض أن المناطق الألمانية التي تسودها البروتيستانتية أكثر ثراء من المناطق الكاثوليكية، ثم حاول التأكد من هذا الفرض فتوصل إلى وجود ارتباط سببي بين نمو الرأسمالية الحديثة والبروتستانتية.

ثانيا:الفهم على مستوى المعنى الفعل:

يرى ماكس فيبر في هذا أن الكائنات البشرية غالبا ما تكون على إدراك وبصورة مباشرة ببنية الأفعال الإنسانية، ومن خلال دراسة الجماعات الإنسانية يمكن أن نفهم الأفعال والمقاصد الذاتية للفاعلين الذين هم أعضاء الجماعات، أما العلوم الطبيعية فإن ذلك غير ممكن، فحركة الذرات لا نستطيع أن نفهمها، كل ما يمكن أن نفعله هو ملاحظة الانتظام القائم بينها، ويعرف الفعل ذاتيا، وكل فعل يخلو من المعنى لا يدخل في إطار الدراسات السوسيولوجية المتعمقة.

_ خلاصة:

يعتبر ماكس فيبر عالم اجتماع ألماني، كتب في الدين، الاقتصاد، السياسة، الاجتماع، السلطة، البيروقراطية، المدينة، اهتم بالرأسمالية ونشأتها، وأشار أنها لم تظهر كنتيجة لضرورة اقتصادية بل ظهرت نتيجة الوضع الذي مارسته قوى خارجية وهي الأخلاق البروتستنتية الدينية.

_ عرف ماكس فيبر علم الاجتماع أنه:

_ العلم الشامل للسلوك البشري

_ قال أن المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية لا يمكن استخدمتها في دراسة المجتمع الإنساني لأن علماء الاجتماع لا يمكن أن يكونوا موضوعيين مثل علماء الطبيعة على عكس ما يراه أوجست كونت.

_أكد أن علماء الاجتماع يمكن أن يكونوا موضوعيين إذا جعلوا اعتقاداتهم الذاتية لا تتدخل في تحليل بحوثهم.

_ درس فيبر السلطة وقسها إلى ثلاث أنواع:

أ_ سلطة تقليدية ب_ سلطة عقلانية قانونية ج_ سلطة ملهمة كاريزمية.

_ اهتم أيضا بدراسة البيروقراطية، حيث عرفها أنها تنظيم هرمي تحكمه قواعد وأنظمة وقوانين رسمية.

أهم المراجع المستعملة:

_ المراجع باللغة العربية:

_ أبو طاحون (عدلي)، النظريات الاجتماعية المعاصرة، الاسكندرية.

_ دوركايم(ايميل) ، قواعد المنهج في علم الاجتماع، تر :قاسم(محمود) و(بدوي)محمد السيد مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1974.

_شلبي مصطفى (دندن)، النظريات الاجتماعية المتقدمة ، الفعل الاجتماعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983.

__ عبد المعطي (عبد الباسط)، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ،عالم المعرفة، 1988.

_ عمر عبد الجبار محمد وآخرون، النظريات الاجتماعية المعاصرة.المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، 2019.

_ غربـي (علـي)، علـم الاجتمـاع والثنائيـات النظريـة (التقليديـة و المحدثـة)،مخبر علـم الاجتماع والاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، الجزائر،2007.

_ قنـاوي (شـادية)، سوسـيولوجيا المشـكلات الاجتماعيـة وأزمـة علـم الاجتمـاع المعاصر ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،2000.

_ كريـب (ايـان)، النظريـة الاجتماعيـة مـن بارسـنز إلـى هابرمـاس، تـر: غلـوم (محمـد حسـن)، سلسـلة كتـب ثقافيـة شـهرية يصـدرها المجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب، الكويت ،1978.

_ محمـد الحسـن (احسـان)، النظريـات الاجتماعيـة المتقدمـة، دار وائـل للنشـر، ط 1، 2005

المراجع باللغة الأجنبية:

_ GUY (Rocher), Introduction a la sociologie , Paris, 1968.

_ Gurvitch George, Traite de sociologie, p u f, Paris, 1968.